ترجمة: فاطمة عابدين

سيد الباب السابع



رواية

سَيّد الباب السابع

طبع من هذا الكتاب ١٠٠٠ نسخة
في مطابع دار مجلة الثقافة
في دمشق

ترجمة
فاطمة عابدين

سَيّد البابِ السَّابع

الأوائل
للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية
دمشق ص.ب ٣٣٩٧ هـ ٢١٢٣٧٥٣

رواية

مقدمة

«وقديماً ترجموا»

الأدب للكبار غذاء النفس والروح ومتعة القلب وسعادة الفكر. لكن الادب للصغار والشباب تربية وتهذيب وتنمية للاحاسيس الطيبة النبيلة، ونماء للذوق الفني وتربية للمحاكمة وتنشيط للذهن والفكر.

ولا يزال الأدب العربي والأدباء والكتاب العرب مقصرين في مجال الكتابة للأطفال رغم مالذلك من ضرورة ....

وبينما نجد مكتباتنا العربية ودور نشرنا وصحفنا تغص بالغثِ والثمين مما يكتب للكبار نجدها فارغة تقريباً مما يكتب للاطفال، والواقع ان الكتابة من اجل الطفل تحتاج الى دقة اكبر ودراية اوسع واطلاع اشمل عن علم نفس الطفل وعلم التربية لما لهذه الكتابة من خطورة على تكوينه النفسي وبناء

شخصيته. فالطفل لم يعد بعد قادراً على عملية الاصطفاء لنبذ الضحل من الأدب وتبني الجيد منه بل يتقبل بسهولة كل ما يكتب له في مرحلة فيعب ما يقرأه كما تعب قطعة النشاف المداد السائل فوقها...

لذا كان من الخطورة بمكان ان نضع بين يديه ما يمكن ان يسيء الى نفسيته او تربيته. وعليه يتردد الكتاب كثيراً قبل ان يكتبوا شيئاً للاطفال ... والكبار منهم لا يحاولون ذلك.

والاطفال ... وهم في اعمار مختلفة ... فكل عمر من سني حياته له عواطفه وميوله وانفعالاته وحبه وارتباطه ... وعلى الكاتب ان يجاري هذه الحاجة النفسية للطفل فيكتب له ما يساعده على تربية هذه العواطف تربية مثلى فلا يقدم له كل شيء او كيفما اتفق ...

لهذه الاسباب ... ولأسباب اخرى كثيرة يتردد الكتاب كثيراً قبل ان يكتبوا للطفل وكثير منهم من كتب واخفق ... وكثير من القصص والحكايا جاءت مضرة بالصحة النفسية للاطفال ... فمن يتصدى للكتابة للطفل يجب ان يكون متمتعاً بالاهلية لذلك

قادراً على معرفة الصالح تربوياً لهذه المهمة.

كما ان هناك سبب آخر لعدم الكتابة للاطفال هو ضآلة ريع الكتابة مما يبعد المختصين المثقفين تربوياً والادباء عن هذا المجال. فيكتبون للكبار بطريقة أسرع وأكثر رواجاً ووصولاً واغزر مادة وأغلى ثمناً ...

وقد اعتمد البعض على النقل من اللغات الأخرى .. فدول العالم كلها تولي الطفل اهتماماً لا يرقى اليه أحد منا .. وذلك لافتقار مكتباتنا الى هذا النوع من المادة ...

ولا يخفى ان لهذا الأمر مجاذيره ايضاً فما يناسب الطفل في الدول الأخرى قد لا يناسب الطفل العربي فله خصوصياته ومتاعبه المتميزة وقد نحتاج الى اسلوب آخر في تربيته .. لذا يجب التريث عند الترجمة للطفل ودراسة ما يترجم له بشكل جيد واصطفاء المناسب مما يغذي القيم والاخلاق والمبادىء الخيرة بشكل عام. واختيار ما يلائم الاطفال في بلادنا وينسجم مغزاها التربوي مع مفاهيمنا العربية.

ولا يخفى ان الاطفال عندما يبلغون اوائل سن المراهقة ينمو خيالهم بشكل سريع فيتعلقون بالخيال

والاحلام والطموحات يعشقون المغامرة ويعجبون بقصص البطولات الرائعة والشخصيات المتميزة والقيم والمبادىء السامية.

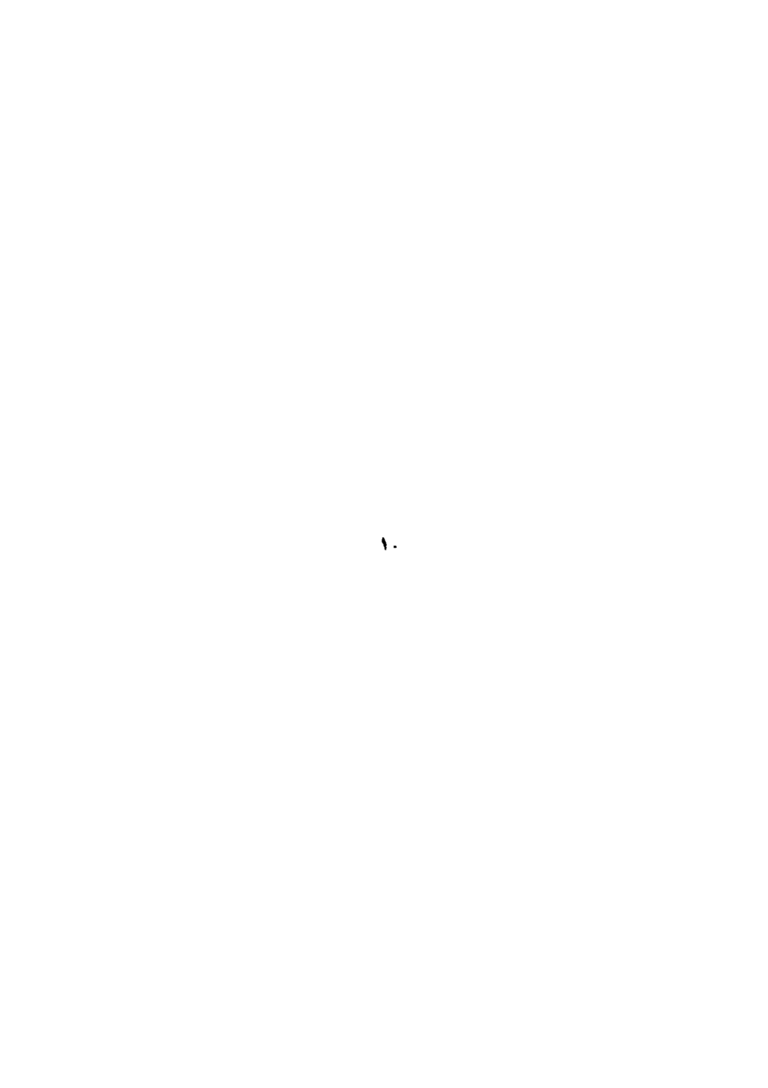
هذه القصة، احدى منشورات -دار الصداقة- الفرنسية. وهي دار نشر كبرى تقوم بنشر العديد من قصص المغامرات التي تحقق الاهداف التربوية. والكاتبه فرنسية من مواليد الغرب تحمل اجازة في الفلسفة تهتم بالكتابة للاطفال واليافعين وقد منحت جائزة: كتب الشباب.

والقصة مغامرة خيالية من نوع جديد فيها ما يثير اهتمام الفتيان بشكل قوي. تحوي الكثير من الخيال والقيم السامية والمفاهيم الاخلاقية قصة شاب عانى مع جده ما عانى من اجل القيم والمبادىء والمثل العليا داعية لحب الوطن والسلام محاربة الشر اينما وجد ومقاومة الظلم والطغيان والتمييز العنصري، قصة انسانية بشكل واضح...

ولقد قمت بترجمة هذه القصة باكثر ما يمكن من الأمانة والدقة والحفاظ على روح اللغة الاولى ودقة وادب الثانية، لغة عربية سليمة أقرب ما تكون الى

ادب القصة والرواية في اللغة العربية المعاصرة.

فاطمة عابدين



١٠

سَيّد الباب السابع

هذه القصة:

ممر سري يختفي في غرفة سيد القصر.

حجرة تحت الأرض يغفو فيها كنز اسطوري.

رواق طويل تقطعه سبعة ابواب

سبعة ابواب وسبع مفاتيح ...

لبلوغ طريق القوة المطلقة.

ألغونت -السيد الذي ترهبه كل مملكة «السيلم» يملك من المفاتيح ستة اما المفتاح السابع فهو في حوزة اخيه -سيليان- وهو يعيش منعزلاً عن العالم.

لكنه ... وفي فجر ذلك اليوم الذي تلا ليل الصيحة الكبرى التي اعلنت وفاة -الغونت- نزل سيليان من الجبل -بصحبة -كيلا- حفيده:

الكاتبه: هي ايفلين بريزو بيللين ..

كانت الولد الثاني في اسرة عندها ثلاثة اولاد.

ولدت في كوتيكدان عام ١٩٤٧ سكنت في مكناس في المغرب ومن ثم قطنت في الرين وفي فان.

وبعد ان انهت دراستها الثانوية عادت الى «رين» تحمل اجازة في الفلسفة لتدريس الاداب الحديثة ونالت شهادة الاهلية فيها عام ١٩٧٨.

كتبت بادىء ذي بدء قصصاً قصيرة لصحف الاطفال. ثم كتبت روايتين طويلتين هما ... عجائب ليلة الاحجار وساحة النجوم.

ونشرتا ضمن مجموعة دار ... «ابطال المغامرات».

ومن ثم منحت جائزة كتب الشباب عام ١٩٨٤ من قبل وزارة الشباب والرياضة على روايتها -سجينه المغول- التي نشرت في نفس الدار.

« سَيّد الباب السابع »

الفصل الاول

وصلت الصيحة من الاعلى فزرعت الرعب في قلب كل من في الوادي ثم راحت لترتطم على قمة جبل الابواب السبعة وترتد لتصعد في فجوات الجبل- جبل- هورل مون- وتبلغ روابي- سيسون- وربما تجاوزت ابعد من ذلك.

غادرت الحيوانات مراعيها وهي تعدو مزعورة تدب فوق صخور -وادي الحجارة- الممزقة:

نهض -سيليان- ببطء ركان يتكيء على مجرفته.... لقد غدا عجوزاً... فابيض شعره المنسدل على كتفيه وقل الشعر في رأسه...

له يدان رقيقتان تنمان عن عمر صاحبهما تبرزان عقداً جافة

في اصابع خلت من اللحم.

لقد مضت الايام ... ومات اخوه -الفونت- لقد فات الوقت... كان ذلك منذ زمن طويل .... وها هو الآن يسمع تلك الصيحة التي تعلن موت سيد القصر الاعظم... نعم... لقد حدث هذا الآن....

ولكنه ... جاء متأخراً جداً ... فالطفل لا يزال صغيراً !!! ...

وفي الاعلى .... وامام مدخل المغارة ... شحب لون الولد الاشقر... فهو لم يدرك بعد معنى هذه الصيحة ... لكنه ادرك ان هناك أمراً ما، يتعلق به.

وبقي جده ساكناً في طرف الحقل بردائه الرمادي الذي يلامس التربة الصفراء وقد اثارها بقدميه العاريتين على شكل غبار ناعم.

كانت الحر خانقاً بين الصخور البيضاء والساقية العجفاء التي تروي الشجرة الوحيدة الموجودة هناك وتروي ايضاً بعض انواع من نباتات البيلسان التي تنبت هناك.

وقد استطاع سيليان: بكثير من الصبر والري المستمر والعناية ان ينجح في إنبات بعضاً من خضار

تمده وصغيره بأسباب البقاء.

ولكن ... عليهما الان ان يغادرا هذا المكان وبأسرع وقت ممكن ... فسيليان الوريث الحقيقي والوحيد للسيد الأكبر وسيرثه من بعده صغيره - كيلاسيان.

ولسوء الحظ في الوقت الحاضر فان الاول عجوز جداً والثاني صغير جداً على حمل عبء هذا الارث الثقيل.

امامهما رحلة طويلة وشاقه -فهل سيتمكنان من بلوغ نهايتها ؟!

هاهو يلقي بمجرفته عن كتفه وبصعد ببطء الطريق المؤدي الى المغارة.

انه يعيش فيها منذ زمن بعيد جداً فهو يعرف كل حصاة في هذا المكان، كل كتله عشب صفراء، وبدون ان ينظر بعينيه التعبتين كان يسير في الطريق الترابي الذي نبشته اقدامه العاريه مئات المرات وفوق الحجارة الحادة التي تتقد تحت اشعة الشمس...

كان الصبي الأشقر هناك ينظر اليه بصمت ووضع سيليان على كتف الصبي يداً بيضها الزمان وخطر بباله فجأة وهو يقوم بهذه الحركة ان يده لم تكد

تبلغ رأس الصبي الصغير وان شعره الناعم الجعد الذي لم يقص ابداً بعد يشكل خصلاً كثيفة فوق رأسه.

كم يبلغ من العمر يا ترى؟!

لاول مرة يطرح العجوز على نفسه هذا السؤال. والآن .. من يستطيع ان يجيبه عليه؟ كان من واجبه -وهو جده- ان يعمل حساباً للسنين ... لكنه لم يفعل.

وركز الصبي على جده عينين سوادوين عميقتين وهو يقول:

-هل سمعت ياجدي؟.

ومر الشيخ بين لحيته يداً شائبة تتقلص بين شعارها البيضاء -كما يفعل دائماً عندما يفكر- وقال للصبي:

- يجب ان نرحل من هنا.

واضطربت نظرات الصبي وسأل جده وهو يتنهد.

- الى أين؟

فقال العجوز:

- ان أخي -آلفونت- قد مات.

انه لم يوزع ثروات البلاد على الناس كما تعهد بذلك: وطالما انني الوريث والخلف الوحيد له بموجب

القانون. فقد أستطيع أن أفعل شيئاً لصالح هذه المملكة.

وسأل الصبي بصوت قلق ينمو فيه اهتمام متزايد:

- هل نحن ملزمون بهذا يا جدي؟

وابتسم العجوز:

- اعرف ان موضوعاً كهذا لا بد ان يشغل فكرك فانت لم تغادر الوادي من قبل.

لكنك تثق بي . اليس كذلك يا كيلا؟

واجاب الصبي بابتسامة باهته. وتابع العجوز كلامه بصوت حاول ان يضع فيه بعض المرح:

-الا ترغب ان ترى العالم خارج اطار هذه الصخور ؟.

- لكن .. هل ترى العالم جميلاً يا جدي؟.

وعاد العجوز ليضع يده بين لحيته مرة اخرى وقال:

- في الحقيقة ..... انني .... منذ ازمان ....

وغدا وجهه اكثر خطورة

- لن يكون الأمر سهلاً يا صغيري ... لكن عليّ ان

اذهب. هل تدرك ذلك؟.

قد تبدو الطريق طويلة وشاقة ومهلكة لكن علي ان اصل قبل ان تعلم بموته رجال قبائل - الاولميد- ....

- ساعدني يا بني ... هل تسمح ؟!

ودون ان ينبسا بحرف، لف الاثنان الحصير الذي كانا يرقدان فوقه لسنوات عديدة خلت ... وجمعا الاواني الخزفية الثلاثة والوعاء الذي كانا ينقلان فيه الماء ووضعا الجميع على رفٍ في الجدار حيث وضعا اباريق العسل ايضاً.

وبدا الامر كانهما يغادران لبضعة ايام فقط فكل شيء بقي نظيفاً ومرتباً رغم أنهما لن يعودا ابداً الى هذا المكان.

وانتزع العجوز من الجدار حقيبة من قماش حال لونها فوضع فيها الرغيفين الباقيين لديهما وخمسة اباريق من العسل ... كان هذا كل شيء... وغادرا الوادي صامتين!

سوف تقضي الشمس على نباتاتهم الضحلة وتكتسح الافاعي مغارتهم ...

هي الاموركما شاهدتها ...!! كان يعرف ذلك دائماً

.. طالما انه يحتفظ بمفتاح الباب السابع....

ولو حدث هذا قبل سنوات لانطلق مسرعاً نحو الجبل المقدس لايقف في طريقه شيء ولا تمنعه حفره. وتسلق القمم الوعرة وقاتل الفهد الملكي واجتاز شلالات آكلي لحوم البشر...

لكنه الآن .. وقد فارقته قواه .. ها هي يده لا تقوى على حمل السيف- وقد غادره الحماس.

ومع ذلك ... فها هو ينطلق ... هذا واجبه ... ولكن.

الا يزال هناك متسع من الوقت لازالة آثار الكارثة؟.

انه يجهل كل شيء عن الحياة خارج اطار هذا الوادي .....

لكنه يعلم ان أيائل غابات العاج قد هربت كلها من مملكة أجداده، تماماً كما فعلت ذلك ايام حكم عمه -لوكران- وهذا دليل ان أخاه- آلغونت- لم يحكم المملكة بالعدل والسلام كما كان يجب عليه ان يفعل....

لكن -سليان- لم يكن ليدر عن ذلك شيئاً، فهو هنا في هذا الوادي وقد انفلت الزمان من بين أصابعه

فبقي وحيداً فترة طويلة لم يعرف فيها شيئاً عن العالم الخارجي ....

وفي أحد الأيام ... وفد عليه رجل مجهول النسب والعرق. وقد سار فترة طويلة فامتلأ رداؤه بالغبار فغدا رمادي اللون كلون وجهه الناحل.

كان شديد الاضطراب، تعب الاعصاب شكل تجعله يهتز ويرتجف بين الحين والحين.

وقف فترة امام المغارة وتنفس الصعداء ومن ثم فتح رداءه كشف عن ذراعين نحيلين بينهما شيء يتحرك ببطء.

وردد الرجل بهدوء:

- انه ابن ابنك -حفيدك- اسمه- كيلاسيان وتناديه امه -كيلا- وبدا الرجل كانه يختنق واخذت يداه ترتجفان كانه يبذل مجهوداً يفوق طاقة البشر عندما تفوه بهذه الكلمات.

ولم يجد -سليان- شيئاً يقوله فهو لم يتكلم منذ وقت طويل ولا يتأكد من انه يستطيع ذلك. ونظر الى الرجل ملياً وتضاربت الأسئلة في رأسه واستطاع اخيراً ان ينطق:

- لماذا؟!

- انت تجهل حتماً ان لك حفيد وتتساءل الآن كيف استطعتُ ان اصل اليك. سأخبرك بذلك.

انني خادم ابنك او بالاحرى كنت خادماً عنده ..

كان الرجل يسحب نفسه بعمق بين كل جملتين ينطق بهما ... قاتلت معه زمناً طويلاً لم يترك لنا فيه رجال -الاولميد- من هدنة.

وقد تزوج ابنك منذ اكثر من عام وولد له طفل منذ شهرين. انت تعلم فالحياة لم تتغير هناك .. كان علينا ان نختفي -ان نهرب من مكان لآخر.. لذلك قال لي ابنك:

لا يمكنني ان احتفظ بالطفل وأمه -سنعرض حياتهم للخطر بشكل دائم- اذهب واوصلهم الى والدي يكونا في مأمن عنده. ودلني كيف أستطيع ان أصل اليك:

وبدا الرجل كانه لا يستطيع التقاط انفاسه واخيراً قال وهو يزفر:

- لقد عانيت كثيراً حتى وصلت الى هنا فابنك لم يقدم لي الارشادات الكافية اذ هبط علينا فجأة رجال

الاولميد.

كان الصغير بين يدي وصاح بي-هيا انطلق- ورأيت زوجته تهوي وقد اخترق قلبها نصل سكين حادة.

- هيا انطلق ...!! ووقفت الصرخة في حلقه اذ أصاب السيف حنجرته فضغطت الطفل على صدري وانطلقت اعدو ...

- هل هم رجال -الاولميد-؟

- نعم - وهم جادون في طلب المفاتيح- لقد كانوايعتقدون ان ابنك يمتلك مفتاح الباب السابع- فهم على الاغلب يعتقدون انك فارقت الحياة كباقي اخوتك.

- لقد مات : أخواي فقط ...

وتأمل الرجل العجوز طويلاً قبل ان يستطرد:

- الم تصلك الاخبار اذن؟

- انا لا ارى احداً هنا ...

- لقد فقد ثلاثة آخرون من اخوتك ايضاً

ولم يتحرك سيليان - فقد اعتاد منذ ازمان على اخفاء المه.

واخذ صوت الرجل يخفت تدريجياً وكأنه سيسلم

الروح مع كل جملة.

- انا لا اعرف كيف هلكوا ولا من يملك المفاتيح منهم. كذلك ابنك فهو يجهل كل هذا والمفاتيح هي: مفتاح الباب الرابع والخامس والسادس. وتنهد العجوز وقال:

- هكذا اذن؟

وسعل الرجل وهوينحي رأسه جانباً وقال:

- انتما اثنان اذن! انت وآلغونت - وازداد لون الرجل زرقة وأسلم الطفل الى سيليان واخذ يتلوى من الالم- لقد كان يختنق.

- عندما قال لي ابنك اين يمكنني ان اعثر عليك- كان يعلم انني لن استطيع ان افشي سره لأنني سأموت.

ووضع -سيليان- الطفل فوق أحد الاغطية. وراح يسند الزائر ويقول له:

- لا تقلق .. سأعتني بك.

- لا جدوى من ذلك .... هي غازات رجال الاولميد السامة - انك لن تستطيع معي شيئاً فقد تخربت رئتاي.

كان ذلك منذ عدة سنوات والزائر يرقد الآن تحت الارض تحت صخور هذا الشاطىء الجبلي.

وسأل -كيلا- جده بصوت متحشرج قليلاً...

-متى سنرحل يا جدي؟

والقى الجد عليه نظرة من جانب عينيه وقال له فجأة :

- اياك ان تناديني بـ جدي ابداً يا -كيلا- الأمر خطير جداً ويتعلق بحياتك. فلا تدعوني «جدي» ابداً ابداً.

الفصل الثاني

بلغ الاثنان نهاية الوادي بسرعة ... كانت فوهة اكتسحتها الاعشاب البرية الشائكة - فكانت ثيابهما تعلق بها باستمرار فيحاولان فك القماش بيد ويدفعان عن وجهيهما بالأخرى خطر الخدوش ولم يلتفت -سيليان- ولو مرة واحدة نحو الصبي الذي كان يسير خلفه باستمرار بل كان يكتفي بان ينبهه:

- لا تضع قدميك في الساقية...

كان سيليان قليل الكلام فلم يكن يشرح شيئاً ولم يكن -كيلا- ليدرك المعاني البعيدة لكلماته لذلك كان يسير على الضفة العليا للنهر رغم الاشواك.

وقد لاحظ .. انه كلما تقدما في السير ازدادت سرعة التيار فقد خرجا من فوهة الوادي وسمعا هديراً آتياً من بعيد كانه صوت شلال. وازاح العجوز ورفيقه يديهما عن وجهيهما ....

كان مشهداً رائعاً .... بلغا صخرة مدببة تكدست على مر السنين نتيجة حت الساقية الهادئة لها وهي

تمر في الوادي. وقد غدت هنا تياراً قوياً تصب في الفراغ فتسقط مياهها من علٍ محدثة فوراناً من الزبد الابيض هناك في الاسفل.

وغمغم -سيليان- وكانه يحدث نفسه:

- انه الوادي الكبير...

كان وادياً طويلاً يموج بالخضرة يرسم فيه النهر التواءات عدة وتبدو بعض الهضاب هناك في الافق البعيدة.

لم يقم -سيليان- باية حركة بل برقت عيناه بفرح غامر فهو يعرف كل شيء هنا... لم يتغير شيء منذ ثلاثين سنة.

في الاسفل -تبدو صخور شواطيء- فيلم- على بعد مسيرة ستة أيام ولكن ... إرما- هذه العجوز ماذا حل بها؟ أتراها لا تزال على قيد الحياة؟

عليه ان يذهب اليها .. فهو يثق بها وقد تقدم له نصحاً بشأن الصبي. وقد تقبل الاحتفاظ به عندها.

والقي بصره على -كيلا- وفكر:

ترى ؟ هل قام بكل واجبه تجاهه؟ انه لا يعرف كيف يربي طفلاً فهو في السابق لم يكن يعرف ابنه.

ولم يُعد نفسه لتربية الاطفال. لقد قدم له الطعام المناسب ولكنه ليشك اليوم واليوم فقط في ان يكون هذا كافياً.

لم يضربه مطلقاً ولم يوبخه ... لكنه .. لم يرَ انه استحق ذلك في يوم من الأيام. لقد تركه يعيش على سجيته فلم يزعج أحدهما الآخر ابداً.

ومع ذلك ... لو قدر لهذا الصبي ان يمتلك مفتاح الباب السابع يوماً ما فعلى جده ان يُعده لذلك ... ولكن .. متى ستتاح الفرصة لهذا الاعداد؟!.

- هيا نهبط الآن - كن حذراً ... ان حذاءك الجلدي جديد فحاذر من الانزلاق - فكر جيداً .. فلو كانت اقدامك غير ثابتة فالموت ينتظرك في الأسفل.

- لقد اعتدت التسلق عندما كنا هناك في وادينا.

وهز سيليان رأسه

- رغم كل شيء فهذا الصبي يتقن بعض الاعمال، يتقن التسلق يطلق النار، يصيد المحار ... وايضاً ...

كان النزول مباشرة مستحيلاً اذ يجب ان يبحث عن طريق في كل خطوة يخطوها وان يجد مرتكزاً لكل قدم حتى يبلغا تلك الطريق التي تتلوى على خاصرة

الجبل... لم يشاهدا الطريق حتى الآن من مكانهما ولم يتبادلا اي كلام... همهما ان يجدا في الصخر شقاً يبلغا بعده الطريق المنقذ.

كان -سيليان- مرتبكاً لكنه لم يكن قلقاً فقد ربط وسطه بحبل عقد طرفه الآخر علي وسط الصبي وهو يعرف الطريق جيداً فهو لا يزال يذكره منذ اكثر من ثلاثين سنة ... لا انه لم يصبح عجوزاً بعد!

عليك الا تنظر الى مفاصله الجافه البادية العظام ولا تمر بيديك على تجاعيد وجهه اما من الداخل فهو لا يزال شاباً - ولتقل الاوردة في ظاهر يديه ما شاء لها القول....

كان يهبط بثقة مطمئناً تماماً ان -كيلا- في اثره ... وهكذا كان يتقدمان بصعوبة وبطء خلال ساعات طويلة حتى اخذت عيونهما وحدها تكشف الاحجار التي تهتز تحت اقدامهما والظلال الخادعة فوق الصخور تقود ايديهما ... إذ أن أفكارهما كانت هناك ... بعيدة جداً...

وسمع -سيليان- صيحة استجاب لها جسمه قبل ان يسجلها فكره فتعلق بسرعة بصخرة ناتئة وصمد

جيداً امام جذب الحبل له وهو يشده نحو الاسفل ويتأرجح يمنة ويسرة.

لم يتحرك ... بل الصق جبينه على الصخرة فقد كان عليه ان يصمد ... وهدأ الحبل اخيراً ثم عاد الى وضعه السابق شيئاً فشيئاً.

كان ذلك حدث محتمل جداً ومتوقع حتى ان -سيليان- شعر بالارتياح بعد ان مرّ وانتهى ... واغمض عينيه ... وراح الصبي يصعد نحو جده من جديد... وها هما الآن يجلسان فوق افريز صخري وقد اغمضا اعينهما أمام دفء اشعة الشمس الغاربة عند حوافي الافق.

- أنا أسف جداً يا جد .... يا معلمي.

- لا ترتكب هذه الخطيئة مرة اخرى - يا كيلا.

- لقد زلت قدمي.

- ليس الخطأ ان تزل قدمك ولكنه في ان تقول لي يا جدي!

- انا أسف لذلك.

واشار العجوز بيده بحركة لا معنى لها. وقال:

- ان تحزن وتأسف لا يفيد ذلك في شيء. المهم ان

تأخذ درساً من خطئك كي يغدوَ الخطأ نافعاً.

وجثا الصبي امام جده فسأله -سيليان- بصوت بدا أقل جفوة:

- هل تجدني قاسياً جداً يا بني؟!

- ابداً ابداً .. لكنها المرة الاولى التي تخاطبني فيها بهذا الشكل.

- ذلك لاني قد اكون قصرت في تربيتك أو أهملتها.

- حسنٌ - لقد قلت لي هذا لانك تعتبرني قد كبرت.

والقى سيليان عليه نظرة مداعبة.

- اخشى الا اكون قد علمتك اشياء كثيرة ولم اتحدث معك بشكل كافٍ فقد لا يكون التعلم الا بالكلام.

كانت الحيرة تبدو على ملامح الجد. فهو لم يدرك بعد ان لهذا الصبي شخصيته. ونام الاثنان على حافة الطريق حتى مطلع الفجر.. وها هما يعاودان السير متلاحقان يجدان بصعوبة كبرى مرتكزات لاقدامهما الساخنة ويتمسكان بقوة بأيدٍ مزقتها الاشواك بقوة اخذت تضعف شيئاً فشيئاً.

وسارا طيلة النهار حتى بلغا الطريق السفلى فسارا حذاء الجبل يتبعان الطريق الاكثر وضوحاً، طريقاً مغبرة شعرا بليونتها تحت اقدامهما الوارمة.

واحمر جبين -سيليان- وغدا وجهه اكثر صرامة .. فالانحدار اصعب مما كان يظن.

وماذا سيلقيان في بقية الرحلة؟! وليس امامه الا قليل من زمن؟

اذ انه في نفس الدقيقة التي اسلم فيها -آلغونت الروح، سقطت حصون القصر! فعليه اذن ان يتصرف بسرعة وليس التعب في الحسبان بل يجب ان يبلغا القصر قبل كل الناس ولكن ...

يبدو ان القصر بعيد جداً ... اتراه .. لا يزال قائماً؟!

فكر بذلك ... وفي الصدر ذلك الألم الناشب

لم يبق إلا القليل من الوقت ... فكيف يستطيع ومعه هذا الطفل أن ....

هاهي ... الطريق تغدو صفراء اللون غير واضحة المعالم؟؟؟!!!

* * *

- آه - ما هذا ؟ وتحسس -سيليان- الارض تحت رأسه وقال:

- لماذا أنا مستلقٍ هكذا ؟

- لانك وقعت علي الارض يا معلمي - لقد كنت قلقاً جداً عليك.

وادار -سيليان- بصره فيما حوله يستقرىء كل شجرة ... وامسك بيد الصبي بعصبية ظاهرة وزفر قائلاً:

-لو سألك سائل عني - فانا حاج عجوز وانت أحد تلامذتي.

- اعرف ذلك.

- فلو عرفوا من أنا فيجب الا يعرفوا انك حفيدي.

- انني تلميذك وانا ابن أحد الحطابين وقد باعني والدي لبائع متجول منذ اربع سنوات وباعني الآخر اليك.

ولاح شبح ابتسامة على شفتي العجوز وهز رأسه دون ان ينتبه وغامت نظراته.. لو مات ... ماذا سيكون مصير الصبي؟!

يجب ان يعرف الصبي كل شيء على الاقل ...

ولكن: من اين يبدأ؟ وكيف يبدأ؟.
وقال له فجأة:
- اصغ الي يا -كيلا.... هل تحدثت لك يوماً عن -بيروك-؟
وادار -كيلا- نحو العجوز وجهاً وعيوناً تنطق بالتساؤل:
عندها ... جلس العجوز بصعوبة واتكأ بظهره على الجبل واسترد انفاسه:
- إنَ -بيروك- هو والدي- ولقد قرر ان يبتعد عن الكنز الموجود في القصر بسبب كل المآسي التي نجمت عن وجوده .. فاغلق عليه في غرفة تحت الارض يوصل اليها عبر ممر طويل على امتداده اغلقت سبعة ابواب. واعطى اولاده السبعة مفتاحاً لكل منهم وقال لهم:
- لواضطررتم في يوم ما ولسبب طارىء ان تستعيدوا الكنز فيجب ان تتوحدوا وتتفقوا جميعاً ... وهذا يضطركم ان تفكروا بعمق وان تتذكروا الويلات التي جلبها هذا الكنز ... ففي غرفتي ممر سري كما تعرفون ... وفي نهاية الممر سبع فتحات .. سيخلفني

بعد وفاتي ابني الأكبر ويضع مفتاحه في الفتحة الأولى ... وبعد وفاته تسقط الحصون الحاميه للقصر وتبقى حتى يضع الأمير الجديد منكم الذي سيحكم البلاد مفتاحه في الفتحة الثانية ... وهكذا ...

لذلك فالأخير منكم الذي سيتاح له ان يحكم البلاد سيمتلك بشكل طبيعي كل المفاتيح وسيؤول اليه ذلك العبء الثقيل في اتخاذ القرار بمصير الكنز.......

- هيا نسر من جديد ...

- لكن الليل قد حل وانت لا تزال مرهقاً

- هذا صحيح - واظن ان قلبي مريض ايضاً

- وماذا حدث بعد ذلك؟، اتمم حديثك؟.

- تربع على العرش بعد والدي اخي -بيرين- ومارس سلطته بحكمة فلم تحدث حروب في أيامه لكنه مات بعد ثلاث سنوات وقد سقط عن صهوة جواده

عندها حدث شيء غريب جداً، ورغم ان والدي قد حدثنا عن ذلك فقد كنا لا نصدق اعيننا ... فتحت المداخل، وارتفعت البوابات وخفضت الجسور وفرغت الخنادق من مياهها...

وعندما وضع اخي -فال- مفتاحه في الفتحة

الثانية ... اغلقت الأبواب من جديد وارتفعت الجسور وامتلأت الخنادق بالماء وعاد كل شيء الى ما كان عليه ... ولكن

- ماذا حدث بعد ذلك؟

- لم يدم حكم اخي -فال- اكثر من ثمانية عشر يوماً اذ وجده بعض رجال قبائل -التوبيك- ممدداً على الارض وقد فارق الحياة. كيف - ولماذا - لم يعرف ذلك أحد. وعندها وضع أخي -آلفونت- مفتاحه ....

أسمع صوتاً ... اصغِ معي يا بني ؟!

وسمعا صوت هدير قوي، صوت او مجموعة من الاصوات الغريبة كأنها الزئير او خوار البقر ... او بقرات لها صوت أسود.

وقفز -سيليان- من مكانه وقد نسي تعبه واخذ يرقب الدغل من الأعلى الى الأسفل

- لقد عادوا من جديد ...

- من هم الذين عادوا؟

- كانت هناك ايام عمي -لوكران- !! آه يا -آلفونت - ماذا فعلت؟!

ورغب -كيلا- ان يطرح المزيد من الأسئلة لكن

ألوقت لم يسعفه اذ عاد الزئير قوياً بشل جعله يتجمد رعباً.

-ألن نهدأ هذه الليلة - قدرنا الوحيد أن نسري ليلاً.....

- ما هذا يا معلمي؟

- انها البقرات المقاتلات - البقرات آكلات الانسان ... لقد تنسمت رائحتنا ...

هكذا اذن ... عادت البقرات من جديد ... وقد وقعت الحرب اذن ... لقد أشعلها -ألفونت- من جديد. ان عودة البقرات تعني شيئاً واحداً ! انها تبحث عن جثث القتلى فهي تحب لحم الانسان وقد تقتله عند الضرورة ... خوارها يعني أنها جائعة وانها اشتمت رائحة البشر.

وارخي الليل سدوله تماماً والتصق -سيليان - و-كيلا- بالارض واخذا يزحفان نحو نهاية الطريق - وكان كيلا يزحف بسرعة أكبر ليبقى بمحاذاة جده

- ماذا يمكن ان تفعل البقرات بنا؟

وسعل -سيليان- ولم يجب. بل زحف عدة أمتار اخرى قبل ان يلتفت نحو الصبي ويجيبه

- انها لا ترى جيداً ولا تسمع أبداً لكن حاسة شمها متميزة جداً. وقد شمت رائحتنا الآن انا واثق من ذلك. وزحف قليلاً ثم تابع:

- لن نستطيع ابداً ان نقطع الغابة زاحفين هكذا - ولا يكفينا لذلك ليل بطوله ثم اوجز أخيراً وهو يركع على ركبتيه:

- كل ما نرجوه ان يكون الظلام كافياً.

وركع -كيلا- قليلاً كما فعل جده ثم نهض قليلاً وانحني لاكثر ما يستطيع وبخطى سريعة تركا الطريق واتجها نحو الغابة.

كان الخوار يزداد شدة وقرباً - اقدامهما ترتعش وقلوبهما تدق بعنف والاشجار تئن وبلغ الاضطراب البقرات فقد شمت رائحة الانسان ... رائحة تنتقل باستمرار فهل ستستطيع ان تتبع اثرها بسهولة.

ازدادت كثافة الغابة واخذت اقدامهما تعلق بالاغصان المنخفضة ووقع «سيليان» مرتين وفجأة سمع -سيليان- صوت سقوط في الماء! وراح -كيلا يغوص في مستنقع مليء بطحالب مائيه واعشاب لزجه ثم خرج منه وهو يزحف وقد اصابه احساس

بالغثيان

يتقاطر الماء من ثوبه.

الخوار يقترب والحوافر تدب بسرعة على الارض واذا اسرعت البقرات في عدوها فهذا يعني انها عرفت الاتجاه الذي تسير فيه ... واحس -كيلا- انه هالك لا محاله ....

كان يخب في حذائه الجلدي ولا يقدر ان يجر نفسه اذ لم يعد له قلب ...

وارتمى فوق العشب فهوى فوق كومة طرية لزجة ودافئة نتنه الرائحة.

فقال وهو يكاد يختنق:

يا معلمي ...

- كان -سيليان- يلهث بعنف وامسك بالصبي من كتفه فوجده لزجاً جداً مما جعله يتركه مباشرة - دنا من وجه الصبي ... كانت رائحة نتنه تنبعث منه ... ولثوان عدة ... لم يكن يسمع وسط هذا الليل الا دقات قلب الاثنين الواجفة.

وقال العجوز اخيراً:

- ابق مستلقياً فوق الكتلة

وفي نفس الوقت الذي ارتمى فيه العجوز الى جانب -كيلا- شق صدر الليل رئير شديد ... يجب الا يفكرا بشيء ... وتدحرجا معاً فوق الكتلة الدبقة

- اسرع ... هيا نرحل - وانحنيا بشدة ثم انطلقا مسرعين وسط الظلام.

واستمر خوار البقرات الغاضب بعد ما فقدت أثر الانسان ولم تعد تشم شيئاً.

كان الروث الذي علق بثيابهما ينشر رائحة تفقد الوعي ... لكنهما قد نجيا وأكد لهم ذلك خوار البقرات البعيد ....

في الغد .. سوف تكون الغابة بعيدة جداً ... خلفهما ... عند بزوغ اول شارات فجر اليوم التالي .

* * *

الفصل الثالث

- الا يزال القصر بعيداً ؟.
- بعيداً.

كانا يتحدثان بصوت خفيض وقد استندا الى جذع الشجرة الوحيدة في ارض المستنقعات في موقع يدعى -مور- ويقال بانه مسكون بأشباح تتسلى بجعل المسافرين يفقدون طريقهم .... لكن -سيليان- لم يكن يؤمن بهذا ...

كان يرتجف بسبب رطوبة ثيابه التي لم تجف بعد هذا الحمام الاجباري الذي قاما به وقال -كيلا- بقلق:

- هل هناك اخطار اخرى؟

ووضع -سيليان- قطعة الخبز وقد يبست منذ زمن بعيد وبدا كانه يفكر:

وقال أخيراً.

- لا ادري ... فالعنف يولد العنف ... واذا كان اخي -آلفونت- قد اغرق البلاد بالحروب فمن المحتمل

ان تتوضع الارواح الشريرة في اراضينا من جديد.

- ورجال - الاولميد- ؟

- من اين جئت بهذا الاسم ؟

- لقد ذكرته اثناء نومك.

- هل ذكرتُ اشياء اخرى؟

- لا أبداً .. هذه الكلمة فقط!

وهز - سيليان- رأسه.

- ليس رجال -الاولميد- أرواحاً شريرة او قوىً خفية -لا أبداً- لكنهم اعداؤنا الازليين ... اما الارواح الشريرة فهي ذرات من غبار تبقى غباراً حتى يجسدها أحد السحرة بشكل ما.

- بم يمكن ان نشبهها ؟

- لا يمكننا ان نفعل ذلك فالساحر يلبسها اي ثوب فمن الممكن ان تتجسد بجسم مثل جسمك تماماً او مثل هذه الذبابة او مثل هذه الشجرة. واخذ كيلا يتأمل جذع الشجرة الخشن التي يستندان اليها. وقال -سيليان- بصوت خفيض وكانه يحدث نفسه:

- ارواح الشر ... هم يدعونها هكذا ... وهي لا تعرف باشكالها وانما باعمالها ... ويعرفون ذلك

متأخرين.

- هل البقرات المقاتلات ارواح شريرة؟.

وتنهد -سيليان- قبل ان يجيب : كلا.

كان صوته خشناً .. ولم يلح عليه -كيلا- بل أحس إحساساً مبهماً بمدى قدرة هذا الرجل على التواصل ... وغامت عينا -سيليان- في الافق المجهول.

حقاً انه لم يخلق لتربية الاطفال! كان يضيق ذرعاً بالإجابة عن الاسئلة وتقديم التفاسير .. ومع ذلك فقد قام بتعليم حفيده ... لكنه الآن سيء المزاج فقط ... اذ انه ادرك انه لن ينتهي ابداً فهو يقدم شرحاً والشرح يستدعي شرحاً آخر ... يا له من نهم ....

سوف يترك هذا الولد عند -إرما- فأوضاعها خير من وضعه بالنسبة لتربية الاطفال.

كانا يتخبطان منذ ساعات وسط مستنقعات -المور- يغوصان حتى الركب في الماء الموحل. وفقد فيها -كيلا - احدى فردتي حذائه - لكنه لم يقل شيئاً.

اما -سيليان- فكان يتلفت من حين لآخر ليرى فيما اذا كان الصبي لا يزال خلفه.

وزاوله مزاجه السيء شيئاً فشيئاً وحل محله

احساس مبهم بالذنب ....

هذا الصبي ! يسير معه ولا يشتكي ... فهل نضج الصبي واكثر مما يظن؟

ومع ذلك فهو يرغب في ان يتركه عند -إرما- بأسرع وقت ليشعر بالمزيد من الحرية سيصل اليها غداً ... عندها لن يقلق عليه ...

ومضى الجزء الاول من اليوم وقد بدا لسيليان انهما لم يتقدما ابداً. وسواء كانت هناك ارواح شريرة ام لا ... فالمستنقعات غدت مقلقة. واخذ العجوز يتساءل:

- هل اخطأ باختياره الطريق القصير؟! لو سار على ضفة النهر لأضاع وقتاً أطول لكن الطريق أكثر أمناً.

وتوقف -سيليان- واخذ ينظر حوله وبدا كأنه غير متأكد من الطريق ... فقد كان ذلك منذ زمن طويل.

كانا ينظران الى ماء النهر وفي بعض الاحيان يغدو ماء النهر صافياً ويسير في اتجاه بدا لهم نفس اتجاه النهر الصحيح ....

وسار الرجل والصبي الى جانبه يتبعان مجرى النهر لأميال وأميال وفي النهاية لم يجدوا إلا بحيرة وطريق مسدود.

ولم ينبس -سيليان- بحرف بل بدا له الأمر طبيعي ومعروف مسبقاً ... لكن -كيلا- يظن انه يتعرف لأول مرة على مثل هذه الأمور. وقال فجأة:

- لقد فقدنا طريقنا

- لا - ابداً - سأحاول ان أقدر المسافة التي بقي علينا ان نقطعها وتسلق بصعوبة شجرة هرمة امتلأت عقداً تتدلى بانحناء خطير نحو النهر. كان عليه ان يرى .... وكان الافق أصفرَ مغبراً ... من جهة اليسار لم يكن يرى الا الاشجار الزاحفة من المستنقعات ... اما من اليمين ... فيمكنه ان يعرف ما هي ... هي صخور شاطىء -فيلم- حيث يقصدان.....

وقال -سيليان- بصوت يشوبه بعض الارتياح:

- انتبه - احذر احذر وسمع صوت تكسر حاد.

وانهار أحد أغصان الشجرة تحت ثقل العجوز الذي أحس ان يده اليمنى تدلت في الفراغ وتشده نحو الاسفل وان غصناً كبيراً ارتطم بوجهه وكانه يجلده

بسوط.

فتعلقت به يده اليسرى بشكل تلقائي .... اذ لازالت لديه بعض ردود الافعال الحسنة رغم ان جسمه تنقصه القوة. والغصن المؤلم لا يزال يحز في خاصرته مما جعل الألم يرتسم على قسمات وجهه. ونزل سيليان عن الشجرة بصعوبة وبكثير من الأناة والحذر. وقال -كيلا-:

- كان من الافضل ان تدعني أتسلق الشجرة عوضاً عنك فلقد اعتدت ذلك.

ودمدم سيليان قائلاً:

- انها رياضة حقاً ولكن ... ليس لمن هم في مثل سنه ... واذا صعد الصبي فكيف سيتعرف على الامكنة التي يراها؟ وهو لم يشاهدها أصلاً؟.

عليه ان يعترف انه يجهل أين يوجدان الآن! وان يعيد النظر في الطريق بدءاً من هذه الشجرة ... وفرك -كيلا- قدمه العارية والمتسخة بيده .

حتماً ان جده انسان غير عادي ... وشعر بالخجل عندما ظن انهما قد فقدا الطريق.

في الوقت الذي كان فيه -سيليان- يسير نحو

الهدف بخطوات واثقة.

- لكن اي هدف هذا ؟.

-انه القصر ... القصر وقد رأيته ...

- القصر ... لا ... القصر لا يزال بعيداً - وعلى مسيرة خمسة عشر يوماً من هنا ...

- حقاً ... الا تستطيع ان تعرف ...

ونهض سيليان بصعوبة ... هو نفس الالم الذي يشعر به دوماً:

- اتتألم يا جدي؟.

- انا أعاني فقط من نوبة الكلية . سوف اتحسن بعد قليل وينتهي الأمر.

علينا ان نمشي.

وقال -كيلا-

- انا اعرف - ان حصون القصر قد سقطت ... وتردد قليلاً ثم استأنف:

- طالما ان للقصر كل هذه الأهمية فلا بد ان يحاول بعضهم الاستيلاء عليه.

ورسم سيليان شبح ابتسامة على وجهه امتزجت بعلائم الألم الذي يشعر به. وتأمل الصبي طويلاً ثم

قال:

- لقد فهمتُ ما قلته لك جيداً - وعلي ان اذكر لك ان لهذا القصر أهمية كبرى ليس بعدد ابراجه ولا خنادقه ولا جدرانه الضخمة ولا بسبب الطرقات الثمانية عشر التي تحيط به .. لكنه هام بما يرتبط به من مزارع وقرى واكواخ وغابات وحقول وقطعان من الماشية وجبال

- هل يطمع به رجال -الاولميد- ؟

- منذ الازل - فهم من فروع اسرتنا وينتمون الى نفس أجدادنا. وصمت سيليان:

انه يشعر الآن ولاول مرة ان هذا الصبي هو ايضاً من اعضاء الأسرة وله نفس الاسم واللقب - لا اكثر ولا أقل - الا انه جاء بعد جيلين!!

ولكن ... هل هناك أهمية لذلك؟

وراح -كيلا- يتأمل قدمه الحافية وهو شارد: فالمملكة كبيرة اذن ومن يحكمها سيكون رجلاً كبير الاهمية .. ولم يدرك بعد بشكل واضح ما يعنيه هذا الكلام!

وقال لجده وكانه مرغم:

- لو حكمت يا جدي هذه المملكة - عليك ان تعمل كثيراً لتمسك بزمام كل شيء بشكل جيد.

وراح فكر -سيليان- نحو الوادي الصغير الذي كان يعيش فيه ... فمن المؤكد ان ليس للصبي فيه اي ارتباط ....

انه لم ينجز عمله كمرب بعد وقال له بهدوء:

- حقاً ان الحاكم هنا يمتلك كل شيء ... لكن عمله ليس يدوياً اذ يعيش فوق هذه الارض الكثير من الفلاحين والعمال الذين يحرثون الارض ويعملون بالصناعة -دوري فقط ان أحميهم من الاعداء وأدير المملكة.....

- انظر يا سيدي ....

وادار الصبي نظره ببطء وعيناه لا تتحركان - وتبع - سيليان- بصره اذ ارتفع حولهما ضباب أصفر كثيف كانه دخان ناتج عن حرق اعشاب خضراء.

لقد ضاع عليهم الوقت ... وقد يدوم هذا الضباب شهراً كاملاً: لقد ادخر لنا سوء الحظ ما هو أسوأ من الاشباح وقد يكون هو الاشباح نفسها... انه خطر مخيف لا نستطيع محاربته ...

- علينا ان نسرع بالرحيل - فأنا لا زلت أعرف الاتجاه الذي يجب ان نسير فيه.

وسارا ... وهما يكادان يعدوان يتبعان في سيرهما دروباً من الارض الصلبة التي تبدو بين فروع المستنقعات ... وانتشرت في الجو رائحة الكبريت فأثقلت الضباب.

لم يعد المكان بعيداً وقد يصلون الى -ارما- بل يجب ذلك:

ومر -كيلا- يده بعصبية على وجهه وازاح خيطاً كخيط العنكبوت يلتصق به او بالاحرى ما كان يحسبه خيط عنكبوت.

وازداد الضباب كثافة وهمس -سيليان-:

- امسك طرف الحبل يا-كيلا- كي لا تضيع عني:

ولم يعد -كيلا- يستطيع ان يرى الا بصعوبة طرف ردائه الموحل الرمادي الذي كان يرتديه ويبلغ حتى قدميه.

واخذت الخيوط تلتصق بوجهه ويديه - فكان يتحرك دائماً محاولاً التخلص منها وكذلك كان

-سيليان- يقوم بحركات مضطربة بذراعيه ولا يتقدم الا بخطى حذرة متحاشياً حفر المياه التي قد تفتح امامه أو أفعى يدوسونها عفواً ... وقال الصبي.

- ان نسيج العنكبوت يشل ساقي.

- اي نسيج؟

والتفت سيليان ليرى ان يديه وساقيه هو الآخر قد سترتا بالخيوط . وتمتم -كيلا

- ما هذا .. ما هذا ؟!

كانت هناك اشياء طرية غريبة تزحف بين قدميه ... واحد .. اثنان .. وآخر وآخر وصاح سيليان

- تحرك - لا تدعها تحيط بك! تخلص من هذه الخيوط -انها ليست العناكب ولكنها السرفات النساجة

- لا استطيع ان اتحرك! وقال سيليان - وهو يقاوم:

- حاول -حاول بكل قواك يجب ان نهرب ! لكن الاوان قد فات فالخيوط قد سجنته وهو لا يقوى على تحريك اصابعه فلم يعد قادراً على الحركة واصبحا في عداد الهالكين.

فـقـد أنهت الســـرفـات النساجـة بنـاء عـشـهـا والتـصـقت بذلك الجسد البـشـــري وقـد سـجنتـه في شرنقتها. وسيكون غذاءً لها خلال فصل الشتاء الطويل الذي ستتحول فيه الى عذراء.

* * *

الفصل الرابع

ورفعت -ارما- رأسها، كانت تشم رائحة ما - شيء غريب! ان حاسة الشم عندها لم تعد قوية كالسابق فهي لم تستطع ان تحدد تلك الرائحة ومع ذلك ... فان هذه الرائحة .... وبحركة آلية أمسكت بيدها الهرمة خصلة شعر رمادية كانت تتدلى على كتفيها انفصلت عن مجموعة خصل من شعرها ثم فتحت الباب... فأخذ يهتز ويصفر بصوت كئيب ... حتماً ان هذا الطلل قد شاخ ايضاً واصابه الروماتيزم كما اصاب صاحبته، وخاطبت الدجاجة الحمراء منتوفة الشعر التي كانت تتبعها:

- هيا ... ان الضباب يهبط فوق المستنقعات ... ومع ذلك فاني أشم رائحة ما غير رائحة الكبريت.

وادخلت الدجاجة رأسها في رقبتها واخرجتها وراحت تنق نقيقاً مكبوتاً فألقت الساحرة عليها نظرة دهشة:

- هل تعتقدين أن السرفات بدأت تنسج - انت

على حق فأنا اشم ريح هذا ... ونقت الدجاجة مرة اخرى وهي تمد رقبتها ثم تحني رأسها جانباً وتنظر الى المرأة بعين مستديرة - وقالت -إرما-

- يجب ان ننتظر حتى يرتفع الضباب وتعود السرفات .... هذا مثير بالنسبة لك لكني اتساءل ماذا وجدت السرفات من طعام تأكله..؟

وهزت الدجاجة رأسها وهي تصدر صوتاً كالنقيق ... لقد قررت ان تذهب اليها... تلك الحشرات النساجة .. هي وليمة فاخرة بالنسبة لها ... لا تدع يوماً واحداً يفوتها فكيف ستنتظر شهراً على الأقل؟!

وراحت تتلفت يميناً ويساراً تبحث عن أفضل طريق تسلكه الى تلك الوليمة وأصدرت نقيق الوداع لصاحبتها وسارت نحو الأمام....

انطلقت ... بخطى منتظمه - تدور بعين كالكرة تدقق في كل شيء مخافة ان تصادف الافعى -ألكا- وغابت في الضباب محنية الرأس واثقة الخطى ...

وكانت تقف في بعض الاحيان ترفع قائمتها في الهواء وتصغي بانتباه الى اصوات الغدران قبل ان تقرر متابعة السير ... فهي لا تهتم بالضباب اذ ان

غريزتها لا تخدعها ابداً في معرفة الطريق وهي تعرف دائماً كيف تجد طعامها المفضل ... ما تجهله ... هو ترى اي شكل اتخذ هذا النسيج من الخيوط البيضاء.

وتقدمت باستمرار نحو الامام بخطى ثابته .. وتكورت عيناها دهشة عندما لاح لها تمثالان ابيضان طويلان ومرتفعان ... فاي الحيوانات قد سجنت داخلها يا ترى؟

ونقرت الدجاجة نقرة واحدة وسط الخيوط ... تلك هي عادتها - اذا كانت كل سرفة تتكور على شكل حدبة متطاولة ويكفي ان تقطع الخيط بضربة من منقارها وتلتهم بالثانية رأس السرفة.

وانبثق الدم من مكان الثقب ولون حوافي الخيوط باللون الاحمر مما يدل على ان السرفة بدأت تقرض الحيوان الحبيس ... ولكن ... اليس لهذا الحيوان وبر على جسمه ؟!

وتحرك التمثالان الابيضان حركة أخيرة تدل على بقائهما على قيد الحياة ... ونقرت الدجاجة نقرة ثانية ثم ثالثة ...

لكن الأفعى -آلكا- رفعت رأسها بعد ان زحفت

بهدوء نحو فريستها الفزعة التي فوجئت بها ... لقد كانت الدجاجة حمقاء شغلها نقر تلك السرفات القذرة وصاحت الدجاجة صيحة حادة فقد تلقفت الافعى احدى قائمتيها وجذبتها الى الارض بلا شفقة او رحمة وغرقت قائمة الدجاجة في فم الأفعى وغدا صياحها اكثر حدة وارتفاعاً طارت لدى سماعه بعض العصافير في الجو برفة جناح وانقض ذيل الافعى على رأس الدجاجة وسكت الصراخ ...

وراح جسم الدجاجة الرائش يختفي تدريجياً بين فكين ينفرجان انفراجاً كبيراً واخذ رأسها الصغير يتخبط عند رقبتها المنزوعة الريش مغمضة العينين ... آه ... آه ...

وتردد عواء مخيف راح يشق الضباب وقبل ان تدرك الأفعى ما حدث شعرت بالفريسة تغادر فمها وتبقى فاغرة الفم فارغته وهي تكاد تختنق بعد أصابتها ركلة قدم هائلة قذفت بها بعيداً وراحت لتغرق بعيداً في بركة ماء.

-لقد وصلت في الوقت المناسب فقلب الدجاجة لا يزال ينبض:

ووقفت -ارما- مذهولة- ما هذان التمثالان الأبيضان؟ ان لهما شكل الانسان ... حتماً ... انهما رجلان ....

أرجالٌ عندها ؟! رجال قريبون جداً منها ؟! انها لم تر رجلاً منذ زمن بعيد ... وماذا يفعلون هنا ؟!

واخذت تضغط الدجاجة على صدرها بحنو وهي تأخذ طريق العودة اكثر حذراً فهي تعرف الطريق جيداً لكنها لا تطمئن كثيراً في الضباب .....

وانبسط جبينها المجعدة فجأة وتباطئت خطاها ... ماذا لو كان هذان الرجلان لا يزالان ...... يجب أن تتأكد .... وعادت لتوها ...

بحثت في جيوبها عن المقص بين قطع الأقمشة والخيوط ... فهو لا يفارقها ابداً وراحت تعمل بصبر في تقطيع الخيوط حول ذلك الرأس البشري ... وسمعت تنهدة مبهمة ... فالسجين لم يمت بعد ... واخذت تقص بسرعة اكبر ...

- آه ... سيليان؟!! لقد عرفته وتأكدت من ذلك رغم فوات السنين ذلك العجوز الذي اخذ يفتح فمه ويغلقه وكأنه لا يعرف كيف يسترد أنفاسه ...

كان وجهه يتقلص كلما تنفس ، عيناه غائرتان وفمه جاف...

وبقيت -ارما- بلا حراك برهة وغمغمت باسم العجوز ثم اندفعت نحو التمثال الثاني الأصغر حجماً...

كان الأخير في وضع أسوأ من الأول . ولم تستطع -ارما- ان تتعرف على هذا الوجه الازرق الداكن وبدا لها شبيهاً بأحد معارفها ...

- الا يزال هناك فرصة؟!...

وابتعدت قليلاً وجاءت بعود أخضر مررته باصابعها بين شفتي الصغير وكانتا لا تزالان مغلقتين - ودفعت بينهما اوراق الغصن الصلبة ... وعلى ما تعرفه -ارما- فهو النبات الوحيد الذي يصدر عن الاوكسجين ما يكفي لاعادة الوعي لكائن حي

فان لم يكف هذا فلن تستطع القيام بأي شيء آخر....

وامسكت مقصها وراحت تقص الخيوط حول صدر الصبي وجذعه فوجدت في جذعه وساقيه ثقوباً صغيرة مستديرة ينبثق الدم منها.

واحاطت الصبي بيديها تمنعه من ان يهوي على الارض قبل ان تفرغ من نزع الخيوط المتشابكة وارقدته على الارض ورأت لونه يعود اليه شيئاً فشيئاً...

وغمغم -سيليان- .....ولا يبدو منه سوى رأسه فوق الشرنقة.

- كيف هو؟

- واشارت -ارما- بيدها شارة من لا يعرف.

وسمعت نقيق الدجاجة وقد استعادت وعيها واخذت تنقر بشره كبير السرفات الخضراء وقد تناثرت على الارض مع بقايا الخيوط ... وقال -سيليان-:

- اسرعي -يا ارما- اشعر انها بلغت لحمي .

كان رداءه الطويل يحمي جسده نوعاص ما... لكن قدميه كانتا تدميان. واكلت المقصات الشرانق. وبنوع من نفاذ الصبر حرر -سيليان- نفسه واندفع نحو الصبي الذي أخذ ينهض متثاقلاً: وقالت -ارما-

- لقد وصلت في الوقت المناسب!

كان في صوتها بعض المزاح ... بينما كان الاطمئنان يلوح على قسمات العجوز الذي لم يستطع

رغم كل شيء ان يبتسم وقال اخيراً ...

- لقد استطعنا ان ننجوا منها! وقالت -ارما-

- ارأيت - يا سيليان- لقد احتجت الي أخيراً...

واجاب الرجل بهمهمة غير مفهومة قبل ان يقول:

- لقد ربحتِ الجولة وانا مدين لك بحياتي.

- انا لا اسعى للربح ... لكنك لا تزال على عنادك اريد ان تدرك فقط ان هناك من يستطع ان يقدم لك العون وانك قد تحتاج لذلك.

- نعم يا -ارما- اعرف هذا ...

- انت تقول هكذا فقط ... لكني ارى انك لم تتغير.

ونهض -كيلا- ببطء والرعب لا يزال ماثلاً في عينيه وتصطك ذقنه تنتشر الجراح في كل انحاء جسمه تحيط بها دماء سمراء من جراء نقر السرفات لها... وانحني رأسه فوق صدره ثم تهاوى على الارض. وقالت -ارما-

- لا تخف فهو مغمي عليه فقط ... هيا ننقله الى بيتي ... وهناك تشرح لي مالذي جاء بكما الى هنا ... ومن هو هذا الصبي؟!

وحمل -سيليان- صغيره بين يديه....

كانت تجربة قاسية بالنسبة للصغير -فسيليان نفسه لا يزال يعاني منها. ويشعر لذلك بنوع من الغثيان رغم ان وضعه افضل من وضع -كيلا- فلقد شعر بمقصات منقذته فحل الامل في نفسه محل الخوف وكان هذا اخر احساس ملأ قلبه ... اما .. كيلا ... فلم يصادفه مثل هذا الحظ ... فانحطاط قواه لم يسمح له ان يدرك الوضع تماماً ورسخ في اعماقه قلق قاتل.

* * *

لم يرتفع الضباب الا في اليوم الثامن واختفت معه رائحة الكبريت التي كانت تتداخل في كل مكان وعادت الالوان الى الكون فعاد للسماء لونها الازرق وللصخور بياضها قرب بيت -ارما- وعاد للاشجار لونها الحادق وارتسمت ظلالها في مياه البرك وقال -سيليان- :

- لا استطيع ان استمر في مرافقة الصبي واخذ يلفت نظرها الى ذلك العبء الكبير الذي يرزح تحته ثم ارتأى وهو يقول بايجاز:

- ان ما نتعرض له خطير وخطير جداً... لا

استطيع أن أتركه يتعرض لكل هذه المخاطر.

كانت -ارما- في ذلك الحين تتنقل حول وعاء تطهو فيه الحساء....

كان لهب النار يتراقص ويضيء وجهها بنور غريب ... اما -كيلا - فكان يلعب في الخارج مع الدجاجة الحمراء يحملها بين يديه وهو يتأمل غروب الشمس.

واضاف -سيليان-:

- يجب ان ارحل باسرع وقت ممكن قبل ان يعلم رجال الاوليد بموت أخي ... وهي رحلة قد لا بستطيع هذا الصغير ان يتحملها. وسكت فترة ينتظر رداً من المرأة العجوز ثم استطرد:

- سأتحدث معك بصراحة ... فهل ترغبين يا-ارما- ان تحتفظي بالصغير ريثما ارتب اموري؟!

وكانت -ارما- قد عقدت يديها حول خصرها نحمل ملعقة كبيرة من الخشب ترشح قطراتها على الارض الترابية واحدة تلو اخرى ... وقالت -لسيليان-

- لقد عهدت بابنك الى رجال -التوبيك- ليقوموا بتربيته الآن تعهد الي بـ -كيلا- فهل يعقل هذا؟!

- هل ترفضين اذن ان تمنحي حمايتك لطفل؟!

- لم اقل هذا - فأنا أحب -كيلا- وانت تعلم ذلك -
لكني أرى أنه من الواجب الا تدعه بعيداً عن مشاغلك ...
ولو فارقت الحياة في يوم ما... فهو الذي سيخلفك ...
وكيف يستطيع ذلك لو عاش بمنأى عن هذه المشاكل؟!

- لكنه مازال صغيراً جداً

واطلقت -ارما- ضحكة ساخرة:

- صغيراً جداً - الا ترى انه يتخطى مرحلة الطفولة ولا يدهشني انه يقترب من الثالثة عشر.

- اتظنين ذلك ؟ على كل حال - انه لا يزال صغيراً بعض الشيء.

- حاول ان تتذكر ما كنت تقوم به وانت في مثل سنه. وسأنشط ذاكرتك:

عندما كنت في مثل سنه كنت تبذل جهدك لكي تستثير اعجابي وقد اجتزت مرة حاجز المنزل الخشبي فوق حصانك. و قلبت مرة برميل الدبس وانزلق الحصان وغرقتما فيه معاً.

كانت -ارما- تبتسم وهي لا ترفع بصرها عن العجوز المتذمر...

ولكن -سيليان- لم يجب !!

حقاً - لقد كان يقوم بالكثير من الاعمال عنده
كان له من العمر ثلاثة عشر سنة وقد قاتل مرة جماعة
من -الاوليد- دخلوا أرض أبيه ...

ان -كيلا- اليوم له نفس هذا العمر ولكن ... لا -
فالامور ليست متشابهة. وقال:

- لقد كنت أكثر نضجاً من هذا الطفل -بل ان هذا
الصبي لا يفقه من الحياة شيئاً ... وسيبقى وفتحت
ارما- فمها للكلام ... لكنها غيرت رأيها واكتفت بان
هزت كتفيها وصاحت

- هيا يا -كيلا- تعال لتناول الطعام.

ودخل الصبي وقد استرد عافيته - لكن يقال انه
قد هرم منذ ان التقى السرفات ومن ثم فان جروحه قد
شفيت ويحاول الا يتذكر ذلك.

لقد فكر طويلاً خلال الايام القليلة التي مضت.
وفكر بالاشياء الكثيرة التي لم يكن يفهمها وقال وهو
يجلس:

- سيدي ... لماذا تريد ان تخلف آخاك -آلفونت-
ولست انت الولد السابع:

وسألت العجوز:

- الم تشرح له شيئاً؟! وهز العجوز رأسه....

- نعم انني الولد السابع .. فاخوتي ماتوا جميعاً.. -بيرين- ثم -فال- وقد قصصت لك قصتهم اما -سولت- و -ميريان- واورفا- فكيف مات هؤلاء ....

لا ادري! وقالت -ارما-

- انا اعرف كيف مات -سولت- وسكتت وكانها تتهيأ للكلام ولكن سيليان- لم يرفع بصره عن صحن الحساء...

- لقد قتله رجال الاولميد.

وشد سيليان قبضة يده وهو يتمتم :

- سأثأر له ... وسأثأر لولدي.

- بالنسبة لابنك فالامر مختلف -لكن الا تدري حقاً شيئاً عن وفاة -سولت- واشار -سيليان- سلباً.

- تذكر يا سيليان جيداً ... أيام اخيك الاكبر -بيرين- كنا نتعايش بسلام مع قبائل -الاولميد- فما السبب في رأيك الذي جعلهم يقتلون اخاك سولت

- انا لا احب الاحاجي - فهم يقتلون بدون سبب مع العلم انه لم يكن مسموحاً لنا ان نقترب من

حدودهم.

- انهم قتلوه بناءً على أمر ! ... بناءً على أمر

اخيك -آلفونت-

وانتفض -سيليان- وقال.

- انا واثق من هذا وقد علمته من الساحر -

هودول- وصاح -كيلا-:

- لكن ... لماذا ؟ لماذا أمر بقتله ؟.

ودنت منه -ارما- وانحنت قليلاً وكانها تحاول ان

تشرك -سيليان- بالحديث

- كان يطمع بالمفاتيح ... كل المفاتيح .. لكن دون

ان يوسخ يديه بالقتل.

لا سيما انه لا يريد ان يوجه له أحد الإتهام ودفع

للاولميد اموالاً كثيرة لينفذوا ذلك العمل القذر.

لكن الامور لم تجر كما اشتهى رجال -الاولميد-

فبدلاً من ان يتركوا الجثة في مكانها كما طلب اليهم

فقد رموها بالماء وعندما عثروا على الجثة لم يكن

المفتاح الرابع معه.

فهل سقط المفتاح في الماء أم حجزه رجال

الاولميد؟ لو حجز رجال الاولميد المفتاح لاستولوا على

القصر ولا عادوا كل حاميته وحصونه.

- نعم - كانوا قادرين على ذلك

وتقلص فكا -سيليان- وصر على أسنانه:

- كنت أظن ان كافة المفاتيح في القصر -لكن ... ها هو المفتاح الرابع غير موجود واين بقية المفاتيح يا ترى - مفتاح الباب الخامس والسادس.

وقالت -ارما-

- لا ادري شيئاً عن هذا الموضوع - قد يعرف ذلك -رجال -التوبيك- لكن ... ولو كانت المفاتيح في القصر وسبقك اليها رجال -الاوليد- فسأشتري جلدك بثمن بخسٍ جداً - اذ ليس من الخير اليوم ان تمتلك مفتاح الباب السابع.

* * *

الفصل الخامس

وغذ -سيليان- السير ... وقد حزم أمره ان يتبع طريق النهر متفادياً كمائن البرك... وبقي حذراً رغم ذلك فسار على الضفة اليمنى للنهر حيث لا يمكن ان يغامر بالقدوم نحوها رجال -الاولميد-:

ورغم ذلك فقد تأكد من وضع سكينه وضغط جيداً على مقبضها المصنوع من القرون كي يشعر بها دائماً تحت تصرفه كما كان يفعل سابقاً عندما يربط سيفه فوق ظهره بشكل تبرز فيه رمانة السيف فوق كتفه الأيسر. فيدخل اثناء سيره ابهامه تحت السير الجلدي الذي يمر على صدره ويمسك بسلاحه.

لقد أحسن صنعاً بتركه -كيلا- فإن -ارما- ستكون له أماً جيدة وها هو الآن وحيد وطليق ...... لقد كان حكيماً لانه لم يستجب لتوسلات الصبي فكل شيء هنا شديد الخطورة.

كان النهر يجري مسرعاً حاملاً معه مياهاً موحلة .. ولم يكن -سيليان- يعرف هذه الاماكن بشكل جيد ..

لكن حصا النهر المستديرة كانت تبدو مطمئنة ...
فالتقط واحدة منها وراز ثقلها وهو شارد الفكر ...
ومض في عينيه بريق فرح... وبحركة لا شعورية القى
الحصاة على الارض متوقعاً ان تراها تقفز نحوه من
جديد ... لكن الحصاة ... ابتلعها النهر المالح ..

وشعر -سيليان- ببعض الأسى ... هكذا الحياة اذن
ها هو يفقد احدى مواهب طفولته ... لا ... انه لم
يفقدها - بل فقد الاعتياد عليها فقط ولو استمر يلعب
لنجح في ذلك السابق تماماً...

وانحنى ليلتقط حصاة اخرى ... فرأى لدهشته ...
ان طبيعة الارض قد تغيرت.!!

ورآها تتخطط بخطوط من الطحالب الميته ذات
اللون الاحمر الكستنائي وقد جفت تحت اشعة الشمس
فاخذت تنكسر تحت اقدام الرجل العجوز محدثة صوتاً
جافاً. وقد تبدو في بعض الأمكنة أقل صلابة وأكثر
رطوبة وكان عاصفة حديثة العهد القتها مؤخراً فوق
الشاطىء

ورأى سيليان محاراً بلون العقيق طويلة لامعة ...
سميكة لم تجففها الشمس بعد . انحني -سيليان-

التقطها بهدوء ورفعها بين يديه كي لا يغير وضعها عندها .. حدث شيء لا يصدق...!!!

لم يكن الحيوان قد مات بعد فراح يتقلص بانتظام وقبل ان يتركه الرجل ليسقط على الارض التصق جيداً على راحة يده بقوة كبيرة لا يمكن لأحد ان ينزعه منها.

وازداد قلق -سيليان- وهو يحاول ان يتملص منها لكن يديه كانتا مكبلتين ... فاستولى عليه الرعب - وبحركة عنيفة وضع قدمه فوق الحيوان كي يضغط عليه فيحرر يديه ... لكنه .. وهو لم يفكر جيداً - لم يستطع تحرير يديه بل علقت قدمه به.

وادرك ان ما كان يحسبه محاراً اخذ يتطاول حتى بلغ ماء النهر وأحس انه ينزلق على الارض منجذباً نحو النهر بقوة لا تقاوم ....

وفقدت قدمه الحرة الوحيدة اتصالها بالارض -وجرّ- سيليان- ببطء فوق الحصى بدون شفقه أو رحمة.

وفي اعماق النهر... اخرج قنديل البحر هذا لسانه فقد شعر به ساخناً وثقيلاً ... ليمسك بفريسة كبرى سيتغذى بها أياماً طويلة بعد ان جاع كثيراً.

وفجأة ... اغلق الحيوان قوقعته بحركة مفاجئة وهو يتألم وقد بقي لسانه خارج فمه اذ قطعته ضربة سيف حادة الى نصفين.

ولم يكن -سيليان- في ذلك الحين صافي الذهن ليسأل -كيلا- ماذا يفعل في هذه الاماكن رغم تحذيراته له. بل بقي ممدداً على الارض سجين اليدين والقدم لا يستوعب جيداً ذلك الوضع المضحك الذي هو فيه.

لكن ... احساسه بالخلاص قد أربكه -ولطالما- لامته -ارما- على إبائه وبذل جهداً كبيراً ليستطيع ان يقول:

- شكراً -يا كيلا-

وقال الصبي وهو يغض من بصره...

- لقد تبعتك وقد وافقتني -ارما- على ذلك فلسنا كثيرين لننجح في رحلة كهذه. لقد فكرت طويلاً وانا اعرف الأخطار التي قد نتعرض لها ولا تزال تلك الجروح في ساقي تذكرني بها باستمرار -انا احب- ارما- ولكن حياتي ليست هناك -حياتي في ان اكون الى جانبك.

وابتسم -سيليان- ابتسامة شاحبة نفس الابتسامة التي كانت له أيام كانا في الوادي وافعم قلب

-كيلا- بحب جده.

ورغم ان سيف -كيلا- قد قطع المحار الى نصفين لكنه لم يرد ان يتخلى عن فريسته ووجب ان يترك ليجف ...

لكن الوقت لم يكن يسمح بالانتظار ... عندها أوقد -كيلا- ناراً من الطحالب اليابسة واخذ يقربها بحذر شديد من لسان المحار الذي علق على يد -سيليان- ورفع له -كيلا- أكمامه الى الاعلى كي لا تحترق ... بل احترق شيء من شعر يديه فغدا رمادي اللون. وتجعد والتصق على جلد ذراع العجوز الجافة.

وانفصل لسان الحيوان أخيراً -فأتما شوية على النار وأكلاه. كانت وجبة ثمينة وغنية لم يأكلا مثلها منذ زمن طويل. وسمعا من الخلف صوتاً رزيناً يقول :

- لقد نجوت من المحار يا هذا !! ..

كان هناك رجل مربوع القامة بيضوي الوجه ..

وتابع الرجل وهو يتلفت حوله:

- مرحباً يا رفاق ... وظهر في الحال بضعة رجال من بين الأشجار - مجموعهم خمسة شديدي الشبه بالرجل الأول - ممتلئي الاجسام - قصار القامة تختلف

وجوههم عن الاول بعض لشيء- فمنهم من له لحية صغيرة والآخر له شارب وقد قصت شنباتهم باسلوب متغاير.

وتابع الرجل الاول حديثه:

- تعالوا وانظروا هذين الرجلين وقد وقعا في شرك قنديل البحر الهائل ثم نجوا منه وبدلاً من ان يوليا هاربين نراهم يتناولان الطعام ... وقال موجهاً حديثه للرجلين:

- كم احب الرجال الشجعان ... احييك من كل قلبي! هل لي ان اعرف اسمك؟!

واجاب -سيلان- بحذر:

- لم يعد لي اسم منذ زمن طويل فأنا عجوز جداً.

- وهذا خادمي ويدعى ...

واسرع -كيلا- يجيب:

- اسمي -فولف-

ولم يزد -سيليان- بشيء فالصغير كان على صواب رغم انه من غير الممكن ان يكونوا قد عرفوا اسمه. وقال الرجل:

- نحن من التجار وهؤلاء اخوتي:

وهز الإخوة رؤوسهم وهم يبتسمون بلطف.

- نحن في طريقنا الى بلاد -التوبيك- وانتما اين تذهبان؟

- لا ادري والله - نحن نجوب بلاد الله من هنا وهناك. نصطاد حيوانات واسماكاً.

-تعالوا معنا اذن الى بلاد -التوبيك- اذا لم يكن لكم وجهة اخرى ففي مثل هذه الاماكن الموحشة يفضل السفر كمجموعات وسألهم -كيلا-

- اي طريق ستسلكون؟.

-سنسلك طريق المستنقعات.

- لكنها طريق خطرة.

-ليست خطرة لمن يعرفها كما أعرفها أنا.

وقال -سيليان:

- اما نحن فسنسير على ضفة النهر فأنا لا أحب المستنقعات.

- لكن النهر - اكثر خطورة وليس المحار العملاق شيئاً اذا قيس بالأخطار التي قد يواجهها المرء هناك انظر الى الارض ونظر فرآها تتغير ... لم يعد هناك حصىً بل غدت رمالاً كلها.

وبالفعل ... وعلى مدىً قصير جداً - غدا النهر يجري بين ضفتين رماديتين متحركتين تكونتا من الرمال. وقال التاجر الكبير:

- انها الرمال المتحركة في كل مكان، والحيوانات القذرة تطارد الانسان ويكتسح البعوض الجو ... والافاعي تملأ ضفتي النهر ... صدقانا وغيرا رأيكما...

والقى -سيليان- على -كيلا- نظرة فيها دلائل التردد:

وتقوم أحد الإخوة وقال منهياً الحديث:

- عليكم ان تذهبوا فوق النهر ... فلا يوجد هناك اي خطر ولا تخشون شيئاً.

وقال الاول مؤكداً :

- هذا صحيح - لو اخترتما هذا الحل - يمكننا ان نساعدكما في صنع قارب تستقلانه ما رأيكما؟ ووجه الحديث لإخوته: فهزوا رؤوسهم بالموافقة.

وانحني -سيليان- قليلاً وقال:

- انتم بمنتهي الكرم ... واذا لم أرد أن أغامر بتعرضي للمستنقعات فلا يعني هذا ان تضيعوا وقتكم معي.

ورفع الرجل السمين سبابته وقال بلهجة لا تخلو من مبالغة.

- لا يضيع الانسان وقتاً إن ساعد أخاه.

وفي وقت قصير جداً ... قطعت الاشجار وتشكل القارب فوق الرمال الرمادية وصاح -كيلا- عجباً:

- أنتم اقوياء جداً ....

ان الطبيعة لم تمنحنا أجساماً كبيرة لكنها حبتنا بعضلاتٍ قوية. وثق يا صغيري انها مفيدة جداً.

وكرر الصبي:

- من حسن حظنا ان وجدناكم هنا:

وابتسم الرجل السمين ابتسامة مرحة وقال:

- لقد انجز المركب وبامكانكما ان تستعملاه منذ الآن ! وتابع القول وهما يستقلان القارب:

- لا يوجد هناك ما تخشوه فالنهر هادىء جداً عند انحداره نحو مصبه. وقال -سيليان-

- هذا صحيح - انا اعرف ذلك - فسيره منتظم ويؤدي مباشرة الى منطقة - التوبيك-

- لكنه اكثر تعرجاً من طريق المستنقعات ..

واجاب -سيليان-

- لسنا في عجلة من أمرنا....

كان -سيليان- يشعربالقلق ..... فلماذا ؟

النهر هادىء -القارب متين- لقد تأكد من ذلك وهم يصنعونه ...

ركز عصاه في الماء ودفع الزورق نحو منتصف النهر .....

وحياه الرجال الستة وهم يلوحون بايديهم قبل ان يعودوا ليلحقوا بطريق المستنقعات. وقال -كيلا- فجأة:

- انظر يا معلمي. وقال -سيليان:

-لقد ذهبوا ... وتابع -كيلا- وانظاره لا تزال مركزة على الارض:

- انظر الى الارض يا معلمي:

- لا ارى شيئاً يا -كيلا-:

- لقد صنعوا المركب فوق الرمال ... وبعد ان ساروا لم يبق فوق الرمال اي أثر للمركب!

- انظر الى الضفة اليمنى ...

هناك اثار اقدامي واقدامك - حيث كنا نتابعهم اثناء صنع الزورق.......

وسأل -سيليان-:

- هل تعتقد انهم من الارواح الشريرة؟

وغرز -سيليان- بعصاه في الماء ... لكن التيار إن من القوة بحيث اخذ يتلاعب بالقارب وفق هواه وقال -سيليان-:

- يجب ان نقف بأسرع ما يمكن هم حتما ارواح الشر-انه فخ وعلينا ان نعود الى الشاطىء بأسرع ما يمكن.

لكن التيار ... كان مسرعاً يحملهم رغماً عنهم ... وقال -سيليان- بصوت حاول ان يضع فيه بعض الطمأنينه:

- سنقف على الشاطىء عندما نتمكن من ذلك.

- هل من الطبيعي ان يجري النهر بكل هذه السرعة؟

- نعم - كان يجري سريعاً دائماً ... لكنه آمن ....

- اذن لا خطر يتهددنا ....

- لا ادري يا -كيلا- يبدو ان أرواح الشر هذه -لم تسيء الينا.

- ولكن ... كيف لنا ان نعرف ذلك ؟!

الفصل السادس

وتابع القارب سيره دون ان ينحرف قيد أنملة. وحاول -سيليان- ان يقترب مراراً من الشاطىء لكن النهر كان يعصيه دائماً ... واستولى عليه قلق متعاظم.....

كان يبحث عن الشاطىء ولا يدري من اي شيء يخاف ولا من اي جهة يأتيه الخطر ... اما -كيلا- فكان يرقب النهر وهوينتبه لدوران الماء اذ يخشى ان يصادفا شلالاً رغم أن جده قد أكد له ان لا يوجد شلالات على مسار النهر ...

وكان الجد يجلس خلف الصبي ... فنظر اليه وقال:

- لقد استطال شعرك يا -كيلا-

- اعرف ذلك يا معلمي - قال ذلك بتردد وغير فخور بهذا الاعتراف ثم أوجز:

- اعتقد ان ذلك بسبب الرعب .... الا تذكر السرفات! لقد أحسست انها قرضتني

كم هو رهيب هذا ... انه رهيب جداً. وخفض صوته قليلاً واضاف:

- منذ ذلك الحين ... تغيــر كل شيء ... واظنني هرمت دفعة واحدة. والتفت نحو العجوز الذي ما زال يركز عصاه في الماء كي يخفف من اندفاع القارب وقال:

- هل رجال -الاولميد- أسوأ من السرفات؟!

- انهم يختلفون تمام الاختلاف ولا يمكن المقارنة بينهما - انهم رجال .... رجال أكبر حجماً من الرجال العاديين فقط - ولهذا السبب وحده يعتقدون انهم متميزون عن الناس وهنا يكمن الخطر- هم يتصورون ان مهمتهم تنحصر في إبادة الكائنات الدنيا وذلك لصالح البشرية ومن واجبهم ابادة كل من هو من غير شعب - الاولميد-

- ماذا لو كانوا يمتلكون حقاً مفتاح الباب الرابع؟

- هل تعتقد ان -ارما- قالت الصواب - وان أخي -الغونت- هوالذي قتل -سولت-

- قد يكون ذلك صحيحاً لان -سولت- له مثل افكاري ... فهو لا يرغب ....

وتفحص -سيليان- ما حوله بدقة قبل ان يتابع:

- لم احدثك بعد عما حدث منذ ثلاثين عاماً: ففي ذلك الوقت - استولى أخي آلفونت على السلطة في القصر بعد وفاة اخي -فال- وبعد بضعة ايام من استلامه الحكم استدعى كامل إخوته واقترح علينا ان نجمع المفاتيح كلها ونتقاسم الكنز.

فرفضت ذلك ... وحذا -سولت- حذوي- وانحاز الينا اخوينا -ميريان- و -اورفا- ورغم صياح -آلفونت- لم يوافق أحدنا على ذلك. كنت صغيرهم واضعفهم ...! اضعفهم لان زوجتي ماتت وهي تضع صبياً غدا أباك فيما بعد.

وجاء بعد ذلك -آلفونت- لمقابلتي وزين لي كل ما يمكن ان يحققه لي الكنز وانه باستطاعتي ان اسافر واترحل حيث اريد لكي انسى مصابي بفقد زوجتي واحيا حياةً رائعة.

لكني خفت - خشيت ان اذعن له - وراعني ذلك البريق الطاغي الذي رأيته في عينيه وهيمنته التي كان يمارسها علي.

وفي الليل التالي - حملت ابني بين ذراعي

واخذته الى جماعة -التوبيك- وقد ايقنت انه يمكن ان يتربى هناك بشكل جيد - ولن يحصل -ألفونت- على مفتاح الباب السابع.

ونهض -سيليان- قليلاً وراح يرقب عوسجة صغيرة ثم غمغم قائلاً:

- يجب ان لا نذكر هذا ابداً سنمر الآن قرب الحدود. وبعد مسيرة عدة أميال فقط سنصل الى نقطة التقاء فرعي النهر فالفرع القادم من بلادنا يلتقي هنا بالفرع القادم من بلاد -الاوليد- وقال -كيلا-

- يبدو ان التيار غدا اكثر سرعة. فلم ينبسا ببنت شفه وراحا يرقبان الماء وأيديهما تشد على الاربطة التي تربط جذوع الاشجار ببعضها في قاربهم.... واخذ القارب يسير بسرعة متزايدة وبعد نقطة الالتقاء انعطف النهر....

كان -سيليان- يعرف المكان جيداً وسيشعر بالاطمئنان عندما يجتازا المنعطف ويبلغا بلاد -التوبيك -

ولكن ماء النهر غدا غريباً جداً بعد التقاء فرعيه واخذت امواجه تتدافع عندها شعر سيليان ان شيئاً

غير طبيعي سيحدث.....

لقد تغير النهر -كيف ذلك -يجب ان نعرف ... لم يعد النهر كما كان سابقاً ويقسم على ذلك لكن ... لماذا؟ ما هو التغيير الذي حدث فيه؟!

واخذ القارب يهتز عند اقترابه من التقاء الفرعين ....

المهم الآن أن يعبروه! وبعد عدة امتار فقط!....

كان ذلك متأخراً جداً عندما عرف -سيليان- ما حدث! انه! وبالدهشة! ان النهر القادم من بلاد الاولميد عكس مجراه .... كيف يمكن ان يحدث ذلك ؟!

وراح تيار الماء يصعد في وادي بلاد -الاولميد- بدل من ان ينزل يميناً نحو بلاد -التوبيك- ، وانحنى -سيليان- فوق عصاه يضغط عليها بكل قوته ليتخلص من قوة التيار ولكن بدون جدوى....

وعندما بلغا الحاجز الصخري الذي يشكل الحدود بين البلدين حملهم النهر جنوب الصخور ودفعهم دفعاً نحو بلاد -الاولميد-

وغدا وجه -سيليان- شاحباً بلون الرخام واخذ يعب كميات كبيرة من الهواء علها تعيد الى قلبه نبضه

الطبيعي وقال:

كن هادئاً يا كيلا وثق بنفسك جيداً ، تنفس جيداً، تنفس جيداً وكن طبيعياً. وفجأة وقف -سيليان- ويداه المعروقتان فوق جبينه وقال:

- انهم يروننا الآن يجب الا يبدو علينا الرعب - فلو كنا مسافرين عاديين لوجب ان يبدو علينا الارتياح لنجاتنا من غضبة النهر الا ما يساورنا من بعض القلق لبلوغنا مكاناً لا نعرفه ... كان يتكلم بصوت منخفض تصطك فكاه دون ان يحرك شفتيه واضاف -نحن مسافرون- لسنا الا مسافرين فقط...

وذكره الرعب الذي ارتسم على ملامح الصبي بما جاء على ذكره قبل قليل من ان رجال -الاوليد- يحاولون ان يجهزوا على كل من هو من عرق غير عرقهم ...

حقاً ...... ليس هذا بالأمر السهل ...... واضاف -سيليان-

- لن يسيئوا الينا طالما جهلوا من نحن! وهم على كل حال يفضلون اتباع طريقة عمي -لوكران-

ولم يدرك -كيلا- ماذا يقصد جده - لكن الوقت لم

.كن مناسباً للشرح. وانطلق سهم من الاعلى وراح يحط وسط القارب..

وسمعا ضحكة الرجل الذي اطلقه قبل ان يرياه.

- هل ارعبتكما ... يا ديدان الارض؟!

وصر -سيليان على اسنانه- ان رؤية رجل من الاولميد فقط تكفي لاثارة غضبه فكيف اذ كان هذا الرجل يسخر ايضاً ... وقال محاولاً ان يبدو بأكبر هدوء ممكن.

- يمكنك ان تجرح أحداً من الناس بهذا ....

وبدلاً من ان يجيب الرجل ... أطلق سهماً آخر انغرز الى جانب رفيقه ...

وامسك -سيليان- يد -كيلا- وقد امتدت نحو البندقية وقال متمتماً:

- دع هذا الآن ... نحن اثنان .... اثنان فقط وفي عمق بلاد -الاولميد-

واستمرالقارب يسير متعمقاً في بلاد الاولميد ... ولم يكن رامي السهام هذا الا حارس الحدود في النقطة الجنوبية وصاح -سيليان-:

- تمسك جيد يا -كيلا-

وفي نفس الوقت ارتطم المركب وهويجري بكل سرعته بصف من الاوتاد غرست وسط النهر.

ففقد -كيلا- توازنه وسقط في الماء .... وعاد الى المركب بصعوبة كبرى بعد ان تعلق حذوع الاخشاب - فالسيف الذي اعطته له -ارما- كان يعيق تقدمه في الماء وقد وضعه فوق ظهره على طريقة جده....

وبقي فترة من الزمن مستلقياً فوق الاخشاب يقطر ماءً هو نصف مختنق. ولم يتمكن -سيليان- ان يقدم له اي عون فهو يرقب بانتباه شديد اولئك المتجمعين على الشاطىء.

- يا للغرابة ... لا يوجد الا النساء والاطفال والشيوخ ... هذا دليل سيء فأين الرجال:

وسمع صوت عجوز يقول:

- انظروا ماذا حمل لنا النهر؟!

وحُمِلَ القارب بحربتين طويلتين واوصل الى الشاطىء...

وتابع العجوز قوله:

- كنتما تنزلان النهر ... وتستغربان كيف صعدتما الى هنا -اليس كذلك؟!

كان -سيليان- يعرف هذا العجوز معرفة جيدة .. نفه المعوج وحاجبيه المنمقتين وذقنه المدببة - آه .... ته -فاتار- فاتار الساحر... على هذا فهو السبب في تغيير اتجاه النهر وسبب كل الارواح الشريرة التي ظهرت....

وسأل -سيليان- بهدوء ..

- من انتم؟ - وماذا تريدون منا؟!

- اليس لديكم فكرة عن ذلك حـــقـــاً ؟!

وأجاب -سيليان-

- اعـرف اننا بلغنا بلاد -الاوليد- رغم انني لم ازرها من قبل....

كـــان يكذب بهــدوء مـــدهش - لكنه يرتجف من الداخل خشية ان يعرفه -فاتار- رغم لحيته وشعره الابيض وقال -فاتار-:

- هوم ... هوم ... على كل حال لستم بوضع يسمح لكم بإلقاء الاسئلة:

- ما اسمك يا هذا ؟ واجاب -سيليان-:

- اسمي -مالا- وهذا خادمي -فولف.

- انتم من قبائل -السيلم- وهو فرع انقرض من

فروع -الاولميد-:

ولم يرد -سيليان- على الإهانة : وتابع الساحر.

- انه عرق اوشك ان ينتهي. واوضحت احدى العجائز:

وسينقص منه اثنان الآن:

كان كيلا ينظر اليهم بعينين ملؤهما القلق... فان ما ذكره -سيليان كان صحيحاً كانوا ضخام الجثة ناحلي القامة - مدببي الوجوه - عيونهم شديدة السواد.

وابتسم الساحر مكشراً:

- هل نقتلهما ؟!

- يمكن ذلك لكن قتلهم لا يفيد في شيء فهذا سيموت بشكل طبيعي لكبر سنه والآخر... ومن ثم .. الم نتفق على ان نتصرف باسلوب لطيف ... والا نرتكب جرماً نلام عليه يوماً ما... رغم انه لا يوجد من يستطيع ان يوجه الينا هذا اللوم!

- هذا لا يفيد ... اليس كذلك؟؟

وسرت الضحكات بين الجموع وراح بعض الاطفال يتدافعون ليروا الغرباء. لكن -فاتار- ابعدهم بيديه

واقترب من -سيليان- وهو يضيق حدق عينيه وقال :

- يبدو انني رأيت هذا الرجل من قبل. ولم ترف عينا -سيليان- لكنه أحس بالرعب يجتاحه من الداخل وقال:

- هذا ممكن - فمنذ سنوات كنت أزور البلاد المجاورة لكم اذ اننا نعيش على الصيد والقنص ونبدل مواقعنا حسب المواسم وقال -فاتار- وهو شارد:

- يجوز هذا - وقالت احدى النساء:

- يجب ان نقرر بسرعة مذا سنفعل بهما:

- حقاً لا وقت لدينا نضيعه - اقترح ان نجعل منهم عبيداً لنا ...

- قد يضايقوننا وقد لا نأمن خيانتهم ...

- يبقون بيننا - فلا ينقرض عرقهم ... وتابع -فاتار-

- ان زعيمنا غير موجود حالياً لذلك ارتأي ان نتخلص منهم فهم كائنات لا تعني شيئاً ولنعدهم الى وحلهم ... وبدون ان يضيف شيئاً رفع -فاتار- فوق رأسه يدين كالمخالب ...

وبدأ النهر يفور ويزبد وانقلب التيار دفعة واحدة

فجذب القارب الى الخلف وهو يهتز ويدور حاملاً مسافريه وقد استلقياعلى خشباته يتمسكان بكل قواهما باربطة الوصل.

واخذ -فاتار- يرقب بهدوء القارب وهو يبتعد حتي اوشك ان يجتاز حاجز الحدود الصخري ... وخلال ثوانٍ قصيرة ... وهما يكادان يبلغا نقطة التقاء فرعي النهر تصلبت عينا -فاتار- فجأة وومض فيهما بريق مخيف وقال:

-سيليان ..... انه سيليان

وبحركة مفاجئة رفع يديه فوق رأسه ... وازبدت الامواج ... ورفع -سيليان- رأسه وهو لا يزال يمسك بالقارب ... فرأى النهر يتغير والتيار ينقلب من جديد وجأر -سيليان-

- ادفع القارب - ادفع القارب ...

وراح الاثنان يجدفان وسط الامواج المضطربة بكل قواهما وكانهما المردة ...

ورفع التيار المركب وانسحب الماء بقوة وعاد التيار بأخذ طريقه من جديد نحو بلاد الاولميد. لكن ضربة قوية قلبت الزورق على الضفة المقابلة...

وبقي -سيليان- و- كيلا - متمددين بلا حراك على الارض متعلقان ببعض الاعشاب المتينة، وقد استولى عليهما رعب لا يوصف.

* * *

الفصل السابع

لم يهتم الاثنان بما حدث للقارب بل نهضا بدون وعي وراحا يعدوان الواحد تلو الآخر وخلال ساعات طويلة من الجري بين الادغال فاجأها الليل قبل ان يفكرا بقدومه فتهالكا في اسفل شجرة واخذا يتنفسان بعمق دون ان يتفوها بكلمة واحدة.

وراحا على هذه الحال يغطان في نوم عميق......

وعندما أسفر الصبح أخذ -كيلا- يتلفت حوله ... وكان -سيليان- لا يزال نائماً وسمع صوت عصافير في مكان ما ..

كانت ارضاً منبسطة نمت فيها بعض الاعشاب الجافة على وشك ان تعطي بذورها.

وتناثرت هنا وهناك بعض الاشجار وكانها لتضع حياة في هذا السهل. تبدو التلال من بعيد ... انها حتماً هضاب -سيسون- التي حدثه عنها- سيليان- فيما سبق.

ووقف كيلا يتأمل المشهد جيداً ... ورغم ذلك .. لم

ـر فيه ما يثير الانتباه.

لم يتحرك -سيليان- من مكانه رغم ان عينيه كانت مفتوحتين يتأمل اصبعي بدقة

كان يرتدي سروالاً جلدياً اهدته له -ارما- وبدا كانه قد كبر - كان دقيق الملامح شاحب الوجه - حقاً انه لم يعد طفلاً ...

واستل -سيليان- سيفه من غمده وقال - اجلس يا كيلا قليلاً..

- الا ترى انه من الافضل ان نرحل قبل ان يطاردنا رجال -الاوليد-

- لن يفعلوا ذلك - فنحن الان في اراضي - لتوبيك- ولا يجرؤ رجالهم على دخولها فهم يدركون جيداً ان هؤلاء الرجال - لا يملكون شيئاً يخشون فقده بل يتمسكون بحياتهم!

ومر بيده على حد السيف ليتأكد من قوة قطعه:

- ماذا! تريد ان تفعل؟

- يبدو لي ان شعرك قد طال كثيراً وانك تخطيت مرحلة الطفولة واطراف شعرك الجعد لا تزال تتدلى وكانها غريبة عنك. ولاح -كيلا- برأسه وكانه ليقدر

وزن خصلات شعره وقال:

- قصه لي .

وراحت الخصلات الشقراء الجعدة تتساقط على الارض الواحدة تلو الاخرى لا حياة فيها.

وهز -كيلا- رأسه من جديد وشعر أنه أخف من السابق وقد يكون -أغرب ومر على شعره بيديه دون ان يقول شيئاً. ان عليهما ان ينسيا ايضاً ان حقيبة طعامهم قد فقدت في حادثة الغرق وان يتابعا سيرهما....

كان -كيلا- يمشي في المقدمة بخطى واسعة يتلفت بين الحين والحين ليرى فيما اذا كان العجوز في اثره .. يتجهان نحو هضاب سيسون .... ونال منهما التعب فغامت اعينهما فلم يريا الرجل في باديء الأمر. كان الرجل لا يتجاوز المتر الواحد طولاً وينحني فوق مجرفته ويرقب قدوم الوافدين بعين يملؤها الفضول.

- يبدو ان هذين الرجلين تعبان جداً - انهما حتماً من -السيلم- وللصغير شعر أشقر جميل وملامح متميزة شاحب اللون رشيق القد ... اما العجوز ...

- يا الله ... أيمكن ان يكون هذا؟ أهذا انت يا

سيليان ؟!

فانتفض العجوز والتفت نحو مصدر الصوت:

- آه - رجل من التوبيك - وتنفس الصعداد وقال اخيراً:

- أهذا أنت يا -فيرالد- أهذا أنت يا صديقي؟!

-سيليان- منذ زمن بعيد - حمداً للآلهة انك على قيد الحياة ... ومد له العجوز يديه مسلماً وقال:

- كان ذلك منذ ثلاثين عاماً...

وهز رجل -التوبيك- رأسه : كان شعره طويلاً مسترسلاً يكاد يصل الى حافة قميصه الخشن: واضاف متعجلاً:

- لقد ركب رجال -الاوليد- النهر منذ ثلاثة ايام ... ركب المقاتلون منهم واختفى جميع رجال السيلم ... وعندما تهب الريح نسمع اصوات اجنحة فراشات الحراسة المنكية المعدنية وتهدلت كتفا -سيليان- كان يبدو شديد الارهاق وازداد هرماً ...

- على هذا فهم قد استولوا على القصر ...

- يجب الا احبطك يا سيليان ولطالما ترقبتك وانتظرتك - كنت متأكداً انك سمعت الصيحة واصبت

بالاحبـاط انا ايضاً عندمـا رأيت رجـال -الاولـيـد- يركبـون النهر - واستـولى علي الغضب بعد ذلك يجب الا .... الاوليد ... انهم لا يستطيعوز . . فالقصر لرجـال -السـيلم- وسـيبـقى لهم .. اتفـهم ذلك يا سيليان؟!

وهز -سـيليـان-رأسـه بأس- قـد يكون الآن غـير قادر على الفهم فهو تعب جداً. واخيراً رفع رأسه ليعب شيئاً من نسيم المساء وقد تهادت الشمس للغروب ثم قال:

- انظر -هذا -كيلا- وتمتم -فيرالد-

- اهو ابن ابنك! انه حي وراح يضغط على كتفي الصبي بحنو وقد تجاوزه طولاً وقال:

- اتعرف يا كيلا ... انا الذي قام بتربية والدك. وابتسم كيلا ابتسامة شاحبة وقال رجل التوبيك وقد لاحظ تقاطيع الصبي الناحلة:

- اعرف انك تعذبت كثيراً وناضلت وعانيت من الجوع وانا اتلو عليك محاضرات لا تفهمها هيا نذهب للقرية.......

* * *

كان ثلاثة رجال يقومون باعمال الطهي - قصار القامة مثل -فيرالد- يجلس بعض الرجال الى الموائد في النزل - يتحدثون بانفعال ويبتسمون بود كبير للقادمين بين الحين والحين.

وكان كيلا يرقبهم خلسة وهو يأكل ... لم ير بينهم الا الرجال رغم انه لم يكن متأكداً من ذلك فمعلوماته عن النساء مازالت ناقصة فلم ير منهن الا -ارما- وبعض نساء الاولميد- اما هنا فلا يوجد غير الرجال - والمسنين منهم فقط وسأل:

- الا يوجد نساء هنا؟.

ورغم انه ألقى سؤاله بصوت خفيض جداً لكنه كان كافياً لقطع كل حديث وقال فيرالد بسرعة:

- يجب الا نتحدث عن هذا ! وأحس -كيلا- بالخجل رغم انه لم يدرك ما الخطأ في ذلك.

ولكن -فيرالد- تابع وهو يضع يده على ذراع الصبي:

- كم انا احمق - على العكس يجب ان نتحدث عن ذلك.

فهدأت الاصوات وراحت العيون القلقة تتأمل

الرجل فقال:

- بلى يجب ان نتحدث عن ذلك ... يجب ان يعرف
كل الناس كي يكونوا على حذر في المستقبل - الست
معي في ذلك؟

هذا الصبي هو -كيلا- سيصبح يوماً سيد القصر
وله الحق في ان يعرف كل شيء النظر حواليك يا كيلا
فماذا ترى ؟

الرجال -والرجال فقط من عرق التوبيك -القزم
رجال يبلغ عمر أصغرهم ثلاثة وخمسين عاماً

وفي المطعم ... انخفضت العيون وانحنت الظهور
واخذت تتكيء شيئاً فشيئاً على مساند المقاعد.

فلم يعد يسمع الا قرقعة النار وصوت -فيرالد-
الجاد وهو يقول:

- انا ابلغ من العمر اليوم ثلاث وستين سنة
ويحق لي الكلام .. عندما حدث ما حدث كنت اخطو
نحو عامي العشرين - وكنت خاطباً لـ -ساليت- آه -
لم احدث أحداً بعد عن هذا الموضوع ... ورغم مضي هذا
الوقت الطويل فان الكلام فيه يشق علي كثيراً ... طبعاً
ان هذا لا يهمك يا -كيلا- لكني لا اعرف كيف أبدأ .

وقال سيليان:

- لا تخشى ان تتحدث عن -لوكران- يا فيرالد- واذا اردت تحدثت عنه بنفسي وانا قادر على ذلك.

لقد كان -لوكران- عمي وحكم البلاد عشرين سنة - كانت من اقسى السنين - تراجعت في عهده البلاد فقد كان يرغب في المزيد من الاراضي. كانت عشرين سنة من الحروب -وتابع -فيرالد-

- لم يكن رجال -السيلم- كثراً لهذا كنا نحن نشكل القسم الاكبر من جيشهم واستطيع اليوم ان أقول:

انهم -ان انتصروا- فإن ذلك بفضل رجال -التوبيك- ولكن الموضوع ليس هنا ...

ورفع واحد من الرجال يده - ليلفت النظر اليه وقال:

كنت مجنداً في الجيش - وكنا اغنياء جداً - يجب ان نذكر ذلك - كنا اغنياء لاننا عدنا بالغنائم من البلاد المفتوحة ورغبنا ان نتقاسمها معهم - لكن - لوكران - أصم اذنيه ورفض مقاسمتنا اياها ... وعليه فهو مدين لنا بنصيبنا فيها. وقطع لنا وعداً بذلك وقبلنا منه

هذا الوعـد. واذا كنا رضـينا بذلك فـمـا ذلك الا لانه ولسوء الحظ - لو مات رجل من التوبيك -ولا ورثة له فـان أمـواله تؤول بشكل طبـيـعي الى حـاكم القصـر -لوكران- الا في حالة واحدة - لوكان -لوكران- نفسه سبب هذه الوفاة لذلك لم يهتم -لوكران- بواحد منا ... وتابع -فيرالد-:

- لقد توقفت الحرب - وشعرنا اننا تجونا من الفاقه - عندها حاولنا ان نعمل كما يعمل رجال --السيلم- وتوقفنا عن العمل بالارض - فما فائدة ذلك طالما اننا نملك من الاموال ما يكفي لشراء كل ما نحتاج اليه . ولكن ذلك كان اقوى منا فعدنا الى الحرث والزرع ... اما رجال -السيلم- فلم يحرثوا ولم يزرعوا بل اخذوا يشترون مما نزرع حتى نفذت اموالهم بالتدريج بينما كانت اموالنا تنمو باستمرار ..... وفي أحد الأيام! وفي يوم عيد الربيع ... كانت العادة ان يصعد الرجال فوق التلال لتحية الشمس الرجال والذكور من الاطفال فقط ... اما النساء والبنات فكن يحتفلن بعيد الربيع بالسباحة في النهر ضارعين الى الله ان يزرع الخصب في اراضينا.

كان -فيرالد- يرقب ردود الافعال عند -كيلا-
..ا الصبي متشوقاً فهو لم يسمع بهذه القصة من قبل
.لا يدري متى ستغدو مأساوية ... كان الطقس رائعاً
..ه السنة . . والسماء فوق التلال زرقاء صافية الاديم
.انها غير حقيقية - لم تضع الآلهة فيها غيمة واحدة
.انت سماءً لا حياة فيها. وتابع ....

وطهونا عدة ثيران واطعمنا الحساء للاطفال ...
.في هذه اللحظة - سمع دوي هائل دون ان ترعد
.سماء او تهتز الارض واحترنا الى اين ننظر فلا شيء
.تحرك وصاح أحدهم:

- أنظروا ... انظروا النهر

ورأينا حاجز النهر وقد فتحت جميع فوهاته بعد
.ن تخزنت خلفه اكبر كمية من المياه اثر انتهاء
.لفيضانات. وسكت -فيرالد- وكانه قال كل شيء :
ونقل -كيلا- بصره بين رجال التوبيك الواحد تلو الآخر
واضطربت عيناه شيئاً فشيئاً فقد بدأ يفهم واخذ
يتخيل نساء وبنات -التوبيك- تحملهن مياه النهر
وتبتلعهن الامواه الموحلة. وتصور الرجال في الأعلى
-ذاهلين - وقد تجمدوا رعباً - وسمع صياح شديد ومن

ثم ران الصمت.

- انه -لوكران- وتهدج صوت -فيرالد- فهو لم يتحدث عن هذا الموضوع منذ سنوات كثيرة ويذكره الآن لاول مرة: - في بلاد لا نساء فيها لن يكون هناك اطفال ولن يكون لنا اولاد في المستقبل ... ولكن ... لن ندع -لوكران- يستفيد من ثرواتنا ... فقد جرفته مياه السد نفسه. واعدنا تجميع ثروتنا وجعلناها كومة كبيرة في اسفل القصر القينا جثة -لوكران- فوقها وتركناه للنسور.

كان صوت -فيرالد- يكاد يغيب وهويقول:

- كان الموت قليلاً جداً بالنسبة لجريمته - وتلاقت عيناه بعيني الصبي الفزعتين وقال:

- قد يشفى الانسان من الالم شيئاً فشيئاً لكنه لن ينسى ابداً عذاب الإحساس بفقد من يحبهم لقد أفقدنا -لوكران- ما هو اعز من أحبابنا - لقد سرق مستقبلنا - لا أمل نعيش له - انما نعيش فقط - لا مشاريع - لا طموحات - نفلح من الارض ما يكفي لسد رمقنا واطعامنا، لانبني شيئاً ولا نعوض شجرة تفاح حرقتها الصاعقة لا شجرة الجوز التي شاخت فلا تحمل ثماراً -

اذ ما الفائدة من ذلك ؟ سنترك الارض لتموت معنا ... والأقسى من كل هذا ان لا أحد منا يرغب ان يكون هو الأخير فعندما يعجز واحدنا عن القيام بأود نفسه لن يجد من يقدم له العون.

ان رجال -الاوليد- يعرفون هذا ويراقبوننا بالقصر لهم وسيملكون في الغد كل هذه الاراضي - وما عليهم الا الانتظار - لقد استفاد هؤلاء الكلاب مما فعله -لوكران- وادركوا انهم ليتخلصوا منا يكفي ان يحذفوا النساء ... وحتماً لن يستطيع أحد ان يقدم دليلاً على انهم مسؤولون عن ذلك.

وقال -سيليان:

- ماذا تريد ان تقول؟!

- لا يجهل احد اليوم ... انه في عرق -السيلم - ايضاً - لا تلد النساء فيه الا الصبيان منذ ما يزيد عن ثلاثة عشر عاماً - فالحالة واضحة ... عندما ستبلغ النسوة يوماً لا يمكن ان يلدن فيه - وهو يوم ليس ببعيد ... سينقرض هذا العرق ايضاً ...

* * *

الفصل الثامن

لم يذق -كيلا- طعم النوم في هذه الليلة وبدا له ان تلك الايام القليلة الماضية التي عاشها بعيداً عن الوادي اوضحت له عن العالم كل ما تعلمه في حياته السابقة - ورأى في نظرات جده خاصية عرق -السيلم- فقرأ فيها تصميماً على ان يمنع كل هذا ... كان متفقاً معه في الرأي حول هذا الموضوع ... عليهم ان يطردوا رجال -الاوليد- من القصر ... ومن ثم ..... ان -سيليان- يعرف ان المجرم في كل ما جرى هو -فاتار- ساحر رجال - الاوليد- فهو وحده القادر على استعمال قواه السحرية بذا الشكل الشرس. وهو المستفيد الوحيد من انقراض عرق -السيلم- ... وغمغم -كيلا-

-سيليان! واجاب جده ...

- الم تنم بعد يا كيلا.

- لماذا ابادوا النساء دون الرجال؟!

- انها المصادفة وحدها ...فقد وجد -فاتار- وسيلة لا تبيد الا العنصر المؤنث ولكن النتيجة واحدة.

وتقلب سيليان فوق الفراش القاسي الذي قدمه له رجال -التوبيك ... وهو يبدل من وقت لآخر وضع ساقيه المتقلصتين وقد ثناهما لان السرير بالغ في القصر ... وانتهى به الامر ان استلقى على الارض الصلبة ... لكنه وقد اعتاد ذلك لم تمنعه من الرقاد بل ما منعه هو ذلك الغضب المكبوت الذي كان يعصف بداخله ... الغضب والضعف والساحر -فاتار- يحارب رجال -السيلم- فهل يستطيع ان يكون بحجم فاتار!

وجلس -كيلا- فهو ايضاً لا يستطيع ان ينام فقد كان صوت -فيرالد- يدوي في اذنيه...... منذ اكثر من ثلاثين عاماً لم يعرف -السيلم- الا الحروب .... وعندما استلم -آلفونت- الحكم كان شديد الشبه بعمه -لوكران- فعرض البلاد للنار والدم واليوم ها هم رجال رجال الاوليد يحاربونه فلن يجد شعبه ملاذا في أي مكان .... وسيليان وحده يحمل عبء هذا كله وعندما مات -لوكران- حاول أخوه - بتروك- ان يضمد جراح البلاد ... لكن ابنه آلفونت -نكأها من جديد. وعلى سيليان اليوم ان ينقذ ما يمكن انقاذه - لكن ...كيف ؟!

ونهض سيليان -فجأة وتبع -كيلا - الذي اندفع خارجاً فراح جبينه يصطدم باطار الباب المنخفض بالنسبة له وسأله جده:

- الى اين تذهب؟ أنا أتضور جوعاً

- لا استطيع ان انام ... يجب ان اتناول بعض الطعام والا فسأتقيأ فانا أشعر بالغثيان

- انك سريع الانفعال.

ورأى -سيليان- الصبي وهو يبتعد ... «انك سريع الانفعال» يبدو ان هذه الكلمة قاسية نوعاً ما - ان الكهل وهو من يعرف جزءاً كبيراً من القصة يشعر وكانه يريد ان يجأر صارخاً وقد تستطع صيحة كبرى ان تدفع بتلك الكرة خارج حلقه لكنه لم يجرؤ على الصراخ ... عندها شرد فكره نحو -كيلا- هو ايضاً لا يستطيع ان يصرخ ....

كان الصبي يجلس الى المائدة الكبيرة يمضغ قطعة ملفوف أخرجها من وعاء الحساء وجلس -سيليان- الى جانبه ودون ان ينطق بحرف فأعد لنفسه كأساً من الخمر الخفيف وراح -كيلا- يرمقه بنظرات خاطفة فلقد عاد العجوز يعامله بخشونة ... لكن -لا بأس:

وسأل -كيلا-

- هل تعرف اين رحل رجال -السيلم- ولم يبدُ على سيليان -نفاذ الصبر بل قال:

- رحلوا الى وادي الصقيع - فهو الوادي الوحيد الذي لا يسكنه أحد ... لذلك لا يوجد من يقاتلهم فيه - فهم لا يستطيعون الدفاع عن انفسهم لان رجال الاوليد يفوقونهم عدة وعدداً .... وفكر قليلاً ثم تابع:

- انهم لن يستطيعوا المقاومة طويلاً فعند حلول الشتاء تصبح الحرارة قطبية وسيموتون فيه جميعاً

- مـاذا سنفـعل اذن!! - سـتـبـقى انت عند -التوبيك-....

وتوقف -سيليان- عن الكلام عندما رأى -كيلا- يرفع رأسه رافضاً بتصميم وحشي. وهو يقول:

- اينما تذهب فسأكون معك.

وتنهد سيليان - فلم تكن لديه رغبة بالنقاش

- علينا الآن ان نستولي على القصر، ان نعيد السلام، ان نقتل -فاتار- وهكذا كشف -سيليان- عن النقاط الثلاثة الهامة في خطته بشكل طبيعي -لكن -كيلا- لم يؤخذ كثيراً بهذا الكلام وسأل:

- هل تظن اننا لو قتلنا -فاتار- نكون قد انهينا السحر؟!

وبسط العجوز يديه بما يعني انه يشك في ذلك. وتابع -كيلا-

- قد يستدعي الأمر ان نلجأ لساحر آخر-

وبدت من سيليان - حركة تدل على نفاذ صبره لكنه فكر قليلاً ثم قال:

- «هودول» - وغامت عيناه في المجهول حتى انه لم ير فيرالد وهو يدخل وكيلا يسأله:

- من هو - هودول- هذا ؟

- انه سيد السحرة في القصر ... وانعش -فيرالد- النار ووضع قطع من الحطب فوقها فاشتعلت بسرعة راسمة على الجدران ظلالاً متماوجة ... وعاد نحو المائدة الخشبية الكبيرة واتكأ عليها بيديه القصيرتين وراح ينقل بصره بين الرجلين ... بين الشاب والعجوز ملاحظاً ذلك الشبه الكبير بينهما فكيف لم يتعرف -فاتار- على شخصيتهما وسأل فجأة:

- هل رأكم -فاتار- عن كثب؟ ورد -كيلا-

- لقد كنا على القارب على بعد خطوتين منه

- عندها رد -فيرالد- ببطء

- ان -فاتار- لم ير بشكل جيد وقال سيليان

- لقد هرمتُ كثيراً ... لذلك لم يعرفني -فاتار-

ركز -فيرالد- على -سيليان- عينين مستديرتين ثم تابع حديثه ...

- الم يخطرلك أنك وانت تتجول مع كيلا - كمن يحمل في رقبته احدى صور طفولته؟

واضطرب -سيليان- ونظر اليه فلم يجد فيه ما يشبهه - قد يكون الشبه موجوداً لكنه لا يدركه فهو يرى الصبي كل يوم ولا يتذكر الآن صورة وجهه عندما كان في مثل سنه. وتابع -فيرالد- :

- يجب ان تفترقا حيطة وحذراً فيبقى كيلا هنا وارافقك أنا الى القصر. ورفع كيلا رأسه بعدم الموافقة. فهو يريد الذهاب رغم ان كلام فيرالد حمل له بعض الراحة لو اضطر لسبب ما ان يبقى ... وشيئاً فشيئاً اخذ يشعر بانه متوتر الاعصاب ... يحس شيئاً يوحي بان -فيرالد- غير مصيب .. لكنه ... ما هو؟!

اما -سيليان- فقد عثر عليه:

- ان بقاء -كيلا - هنا لا يفيد في شيء فقد علم

رجال – الاولميد– بوجودي وسواء كان كيلا معي اولم يكن، فسيعرفون من انا ... اعتقد ان الصبي يجب ان يبقى عندكم ولو انه لا يريد .... لكن ليفعل ما شاء ...

وجاءت كلمة -سيليان- كطعنة في قلب -كيلا- لكنه لم يبد شيئاً... ولو حدث هذا قبل خمسة عشر يوماً لخجل ولشكر جده ... لكنه الآن ... كم تغير ... وقد حلم انه يقول لجده بصوت حازم:

– سأرافقك !!

ولم تعد الظلال الثلاثة حول المنضدة تتحرك ابداً... الا ان اللهب كان يضع فيها حركة مفاجئة ومدهشة وقال -فيرالد -اخيراً:

-لقد حدثت اشياء كثيرة بعد مغادرتك لنا يا -سيليان- ...منذ ان جئتني وطفلك بين يديك لتقول لي:

– ربه كابن لك يا -فيرالد-...

طفل عندنا ... كم كنا سعداء به ... كان له آباء كثيرون ولكن لا ام واحدة. كان فرحنا به كبيراً كما كان من احد اسباب الصلح الذي عقدناه مع السيلم لهذا استطيع ان اقص عليك كل ما اعرفه منذ ذلك الزمن او

بالاحرى ما يتعلق بوفاة اخيك -فال- وتنهد -سيليان- وسأله:

- هل تعرف شيئاً عن هذا ؟!

- نحن جميعاً نعرف - لكن عمك -لوكران- اساء لنا بشكل لم نستطع معه ان نتراجع عن كراهيتنا له. وقد عرفنا بان ليس كل رجال السيلم -مثل لوكران. وقال -سيليان-

- انا أدرك ذلك.

-كان يريد ان يتعجل حديث -فيرالد- لكنه لم يجرؤ - ورغم كل الجهود التي بذلها ابوه -بتروك- واخوه -بيرين- ثم قال من بعده وما استطاع أحد ان يزيل اثر الجرائم التي ارتكبت بحق هذا الشعب فامهاتهم وبناتهم وزوجاتهم دفنوا للابد على امتداد النهر. وتابع -فيرالد- اخيراً:

- نحن الذين وجدنا جثة -فال- وانت تعرف ذلك. وصادق -سيليان- على كلماته دون ان يظهر نفاذ صبره ... وقد اعدناه للقصر.

- الا يبدو غريباً ان يموت رجل قوي البنية فجأة خلال نزهة كان يقوم بها سيراً على الأقدام؟

حتـمـاً ... لقـد حـاولنا ان نـعرف وتريثنا حتى،
فحصه احد الاطباء ... لكنه لم يجد فيه شيئاً غير عادي
- من هو الطبيب ؟.

-تريث يجب ان اتذكـــر ... نـعم .. انه طبـيـب
-آلغـونت- الخاص. كان فـي القصر وكلف بذلك وهز
-فيرالد - رأسه واستغرق في تفكير عميق فلقد ادرك
الآن مـا غـاب عنه منذ وقت طويل ورفع بصره نحو
-سيليان- لكي يعطي كلامه مزيداً من الاهمية:

- كـان هناك جـرح صـغـيـر في اصبع -فـال- !!
وارتبك -سيليان- واعد نفسه لخبر محطم:

- اتقـول: جـرح !! وابتـسم -فـيـرالد- ابتسامة
مرحة عندما شعر باحباط سيليان...

وتابع على نفس اللهـجـة ... نعم جـرح ... جـرح
تافه....

- وبعد ذلك ... قل -ماذا حدث؟

- لقـد رأيت امـثـال هذه الجـروح - وهـي تحـدث
بثقب الجلد ببعض النباتات السامة وقد استنبتت في
حديقة -فاتار- .... وتنهد -سيليان- وقال:

- على هذا ... فالاوليد هم اللذين ...

لكن -فيرالد- رفع يده مهدئاً وقال:

- ما هدف الاوليد بقتله ... وكان السلام يسود علاقاتكم معهم ....

- للحصول على مفتاح الباب الثاني.

- تريث ... فالمفتاح الثاني كان في ذلك الحين في فتحته وهم يجهلون كل شيء عن الابواب السبعة فان هذا لم يحدث الا عند وفاة -سولت-

- اعرف ذلك ... لقد حدثتني -ارما- عنه.

- اصغ الي ... لقد كنت هناك عندما مات طبيب -آلغونت- الخاص. وقد حكى لي قبل ان يموت كيف ارسله -آلغونت- الى -الاوليد- ليقابل -فاتار- ويجلب منه عود النبات السام.

لم يكن ذلك في يوم عادي ...فهو يذكر ذلك اليوم جيداً عندما جاؤا به الى القصر ليتأكدوا من وفاة -بيرين- وطلب منه -آلغونت- مباشرة هذا الطلب.

-ولماذا طلب منه ذلك يا ترى؟ مـــا رأيك يا سيليان؟

وتدخل -كيلا- ...

- لقد اراد التخلص من -فال- ليحل محله:

- نعم - ولكن لماذا بهذه السرعة؟ ولم ينتظر ولو يوماً واحداً.

وثبت -سيليان- نظره فوق جرة النبيذ دون ان يراها وقال:

- لماذا ؟!!

-ستعرف عندما اقول لك ان النبات يستغرق ثمانية عشر يوماً كي يسمم الدم: وصاح -كبلا-:

- ثمانية عشر يوماً؟ وهل مات بعد ثمانية عشر يوماً من حكمه؟

- لقد بدأت تفهم ... لقد جرح -فال- عندما استل مكانه بالحكم في القصر ... وفي اي وقت يا ترى ؟

- ليس في وضح النهار حتماً ... فهو قادر على معرفة هذا النبات ... وقال -سيليان:

- كان ذلك في مكان مظلم ... في الممر - حيث توجد فتحة المفتاح الثاني ... لقد واجه -فال- الموت وهو يضع مفتاحه بالثقب.... وعلى هذا -فإن -آلغونت- قام بقتل -فال- وسولت- وأخوي الآخرين ... ميريان واورفا-؟؟

- لا يدري أحد ماذا حدث لهما ... لقد اختفيا ...

لكن هناك شائعات تقول ان مفتاحيهما موجودان في القصر.... فهل اعطياهما -لآلغونت- .... وهل ماتا؟

- لقد قال الرجل الذي نقل لي -كيلا - بانهما توفيا

قال فيرالد:

- قد يكون ذلك ... - لكنه لم يمكن العثور على جثتيهما بحال من الاحوال!

* * *

الفصل التاسع

وجه -كيلا- مقلاعه واطلق الحجر ... كان يحب هذا المقلاع وصوته العميق المنتظم الذي يتحول سريعاً الى صفير يهدأ عندما يرتطم الحجر ... وصاح -فيرالد- من بين أغصان الشجرة.

- احسنت -يا كيلا- مرحى لك ...

- ارأيت - يا فيرالد- انا اتدرب ضد رجال الحرس الملكي...

- لا ادري اذا كان هذا يكفي...

- لدي سيفي ايضاً ... وخفض صوته قبل ان يتابع:

- انه يعيقني ... ولا أحسن استعماله بشكل جيد ...

- دعه هنا ... اذن ....

- لا ... لا يمكن فهو الذي انقذ -سيليان- من الاخطبوط العملاق ... انت تعلم يا -فيرالد- ان جدي غدا هرماً وانا أفوقه قوة لذلك لا استطيع ان أتركه

يذهب وحيداً - هل تدرك هذا ... لن يهدأ لي بال وانا اعرفه في الطريق وحده ... ولا استطيع ان اعرف كيف سيستعيد القصر وحده.

- ولو كنتما اثنين ... لن يغير هذا في شيء ... حتى ولو كنتما جيشاً كبيراً ... فكيف ستتصرفان؟!

واجاب -كيلا-....

- لست ادري فأنا لم اشاهد الاماكن بعد ولم يقدم لي -سيليان- اي شرح في هذا المجال.

- ان -سيليان- دائماً ذلك الذئب العجوز الوحيد .. يبدو انه عانى كثيراً وهو يؤدي دور الجد ... فهل اعتنى بك جيداً ....

- لا ادري .... لم يكن ينقصني شيء - لم يكن يكلمني هناك في الوادي .... كان يبتسم لي في بعض الاحيان.... وفتح عينيه فجأة في هذه الرحلة ليجدني .... ولم اعد طفلاً ... فأخذ يحدثني قليلاً ... لكنه لا يبتسم ابداً - وتأمل فيرالد الصبي وهو يطلق احجاره

- هل كانت رحلة شاقة ...؟ - كلا!

وتوقف كيلا عن الكلام وتأمل وجه -فيرالد- ثم تنهد:

-نعم - لقد كانت قاسية جداً ... ولا ادري لماذا قلت عكس ذلك فمنذ ان غادرنا الوادي ... لم اعد أعرف نفسي ولا تزال الصيحة ترن في اذني .... تلك الصيحة التي اطاحت بنا الى اسفل وادينا ... منذ خمسة عشر او عشرين يوماً ... لم اكن الا صبياً صغيراً - لكن الآن ان ساقيي لا تزالان تحملان شارات لا يمكن ان تزول.

وقال -فيرالد-:

- لكل انسان ذكرياته المؤلمة

ونظر اليه -كيلا- ولاحظ ابتسامة شاحبة ترتسم على شفتيه وغمغم قائلاً:

- - اتبادل ذكرياتي بذكرياتك عن طيب خاطر؟!

- قد ابادلك بذكريات الأمس اما ذكريات الغد فلا ...

- لا تذهب الى القصر يا -كيلا-

ووضع هذا الاخير حجراً في مقلاعه ولوح به وهزه ببطء وكانه يتردد في اطلاقه ثم دفعه بقوة وتركه ينطلق حتى سمع صوت ارتطامه ...

تأمل -كيلا- يده - فوجدها لا تزال متقلصة وقال اخيراً:

- لا بد انني من رجال -السيلم ... فهذه عصبيتهم ...

ومنحته هذه البادرة نوعاً من السكينة وابتسم -فيرالد- وهويقول:

- انا افهمك يا -كيلا- وحسن ان يشعر الانسان بالانتماء الى مجموعة وان يعرف نفسه ... ولكن ....

- لكن ماذا ؟!

- لكن ... عليك قبل ان تعرف انك تنتمي الى هذا العرق او ذاك ان لا تنسى انك تنتمي الى الانسان والى هذا العالم ... وسدد -كيلا- نظره على رجل -التوبيك- العجوز

- حتماً ... لن ينسى ذلك ... لن يضحي احد بحياته من اجل انتصار -السيلم- كذلك لن يسمح لعرق ان يفني عرقاً آخر ... وقال -فيرالد-:

- لقد حول رجال -الاوليد- سكان السهول الى عبيد- اولئك الرجال ذوي العيون الزرق سوف تمران بهم في هذه السهول قبل ان تصلا الى القصر فكونا على حذر...

- هل ذوي العيون الزرق اعداءٌ لنا؟

- كـلا - لكن لرجـال -الاولميـد- عـيـون في كل مكان....

- اذن ... من المفيد ان نجتاز السهل -ليلاً-

- هذا غـيـر ممكن ... فـالسـهل فـسـيـحـة جداً وقـد تحتاجان الى عدة ايام لقطعها ... قد يساعدكما في ذلك ذوي العيـون الزرق - وقـد لا يـفـعـلـون ... فـهم شـعـب من التـجـار والـفـلاحـين يـخـشـون الـتـدخـل في اعـمـال لا شـأن لهم بـهـا. ومن الصـعـب ان تـعـرف بماذا يفكرون وهذا من اكثر صفاتهم ازعاجاً..... ورفـع -فـيرالد- رأسـه:

- لقد تغيـر وجـه الـسـمـاء وراح ينشق الهواء من كل الجهات وهو يحاول ان يشتم شيئاً يعرف بـه ... كان بـعـض الضـبـاب البـعـيـد يطفو على سطح السماء الزرقاء واخذت سـحـابـة سـوداء هـائـلة الحجم تـتـقـدم ببطء وأحس بها -فيرالد- وحده ...وسأل كيلا:

- هل رأيت هذا؟ وراح الاثنـان يـعـدوان بسـرعـة نـحـو البيت المنخفض الذي يـحـرسـه برج صـغـير ذو سطح دائري. واصطفق الباب .... وقال رجل -التوبيك-:

- لا ترحلوا الآن

وسـحـب نـفـسـه بـعـمـق وارتمى بظهره على البـاب

وكانه لا يجرؤ ان يذهب ابعد من ذلك ...

كان -سيليان- يجلس الى المائدة ، يتكيء بمرفقيه على لوحها الخشبي يرسم مصوراً يدرسه بدقة وعناية ... ورفع بصره نحو القادمين المضطربين ...

وقال -كيلا- انها سحابة ... ولم يدر من اي شيء يخاف وتأكده ان عليه ان يهرب ... وجعل رجل التوبيك الظلام يخيم في البيت اذ أغلق الابواب والنوافذ والدرفات الخشبية واختفى -فيرالد- بعد ذلك ...

عندها ... انطلق حول البيت لحن خافت مر على الدرفات ومن تحت الابواب ... وكانوا قد وضعوا حول المدفأة حاجزاً يمنع الشرارات التي اخذت تتطاير في الغرفة محدثه دوياً كدوي المحركات. وفي الخارج انطلق صفير حاد ومتطاول وارتفع صوت موسيقى بحجم غير مألوف يملأ الفضاء .... كانت الموسيقى تصدح بألحان متعددة وبشكل قوي جمد له الرجال في أماكنهم وعزلتهم عن العالم كجدار لا يمكن اختراقه وبقي الجميع ساكنين كأن على رؤوسهم الطير .....

وهناك ... على سطح البرج ... أغمض -فيرالد- عينيه ... كان متمدداً على الارض وقد ربط باحكام

حلقات من الحديد حول يديه وقدميه ... كي لا تحمله الريح

كانت الريح ترفع ثيابه فتتطاير ثم تعود لتلتصق بجسمه مرة بعد مرة ثم اخذت ترفعه وترميه حتى يكاد يتحطم فلم تعد لديه قدرة على التفكير ...

- يا له من نعمة سماوية - عدم التفكير هذا .....

وملأت الموسيقى التلال وانتشرت لتبلغ اعماق الوادي.

اما الانابيب الغضارية التي ركبها فيرالد بدقة وصبر والتي بللها بلعابه فقط فكانت تصدح له دقيقة وطليقة كأنها بلسم على جراح ظلت ناكئة الى الأبد.... انها حياته ... وقد رسمها بيديه .....

وتستمر الحياة على الارض - فالانابيب سوف تستمر في الحياة - ولا يمكن ان تبقى صامتة بل ستعزف هذا اللحن ... كلما مرت بها الريح .....

كان على -فيرالد- ان يرى ارضه - أن يرى روح هذه الارض .... ولا يمكنه ان يبقى متمدداً في وقت كهذا...

وبسرعة ... نزع -فيرالد- الحلقات التي كانت

تربطه بالارض وترك نفسه يطير في الهواء كان يموج وسط العاصفة، ويتعلق بالافريز وهو يضحك .... وفي الاسفل .... كانت انابيبه تتألق في ضوء المساء وكانها مضاءة من الداخل بنور متوهج وتناديه:

ومن ثم اطاحت العاصفة به ودارت ... وغدا ينتمي للريح ، للهواء ، للعاصفة التي اقتلعته ... وبعد ذلك ... وجدت جثه -فيرالد- قرب الانابيب وقد سادها الصمت ... لقد كان يبتسم ....

يجب عليهم الا يبكوه ... لقد كانوا مؤمنين به - فجفت الدموع التي ذرفت عليه بسرعة ولم يعد يتحدث عنه أحد او يتحدثون قليلاً جداً ... وراحوا يبحثون عن مهمة تليق باسمه ... وطال البحث ولم يتوصلوا الى ذلك ...

ان عالم -التوبيك - يزداد تصحراً يوماً بعد يوم ... وينتهي الخصب فيه ....

وعاد سيليان يدرس مخططه من جديد ... لكنه كان يجد صعوبة كبرى في تركيز فكره فلا تكاد عيناه تلامسان الورقة حتى يعود لينكفيء على داخله. اما -كيلا-.... فقد كان يبكي ويحق البكاء لمن هم في مثل

سنه ... لقد ذرف دموعاً في السر وبدون خجل ثم شكر الالهة التي لا يعرفها -لكنها هناك حتماً........ هناك في السماءفهي التي منحت تلك الابتسامة الى -فيرالد- عند موته. وسال الألم من وجهه ليحل محله رهبة كبيرة امتزجت بحزن لازم قلبه كلما تذكر رجل التوبيك.

واحس الآن انه بخير طالما ان -سيليان- استطاع ان يقاوم حزنه ويستخدم قوته ليقول له ان كل شيء على ما يرام ... عندها بدأ يدرس المخطط حتى كاد يحفظه عن ظهر قلب -التلال - السهل - فتحات الوديان - القصر ... وبدا كمن يتسلق جبلاً ذا قمم مدببة -النهر- الرجال ذوي العيون الزرق.

وادرك اخيراً ولاول مرة - الهدف الذي يسعى نحوه .... بينما كان -سيليان- يعرف ذلك من اول الأمر.....

كان -كيلا- فيما سبق يكتفي بان يلقي ببصره نحو الافق لا يدري ما يخبيء له القدر يرقب فقط اتجاه النهر او حالة الطريق... لكنه الآن ... غدا يعرف كل شيء فالمخطط في مخيلته فهو يعرف طول السهل

-تعرجات النهر -من اين جاء وعلى اي شيء مر - وغدا كل شيء في ذهنه واضحاً ونيراً.

وفاجأه -سيليان- ينظر الى ما يرسمه من فوق كتفه وتذكر ماذا يفعلان هنا:

- يجب ان نجد طريقة لدخول القصر - لقد حاولت ان استجمع ذكرياتي ... فلم اتذكر الا طريقاً واحداً يتلوى حول سفح الجبل ويصل الى باب السور الرئيسي الاول

وفكر قليلاً ثم اضاف:

- إن الموت ينتظرنا في كل مكان ... نحن ضعيفان جداً فاذا لم ترد الالهة ان اصل الى القصر ..... عليك ان تتذكر أنت فمخططه مرسوم في ذاكرتك .... وإلا فلن تستطيع شيئاً ... سأرسم لك القصر ...

- انه على رأس جبل ...

- انه فوق قمة يفصله عن الجبل خندق عميق جداً

- عليه جسر متحرك ... هو وحده الذي يسمح بالدخول الى القصر -لا تربطه سلاسل - يخضع فقط لسلطة صاحب القصر ولا يستطيع أحد ان يتحكم فيه ... لذا فعندما يموت سيد القصر ... يفتح وحده انتظاراً

للحاكم الجديد

- وعلى هذا فلن نستطيع شيئاً - لذلك قال -فيرالد- ان جيشاً كاملاً لا يغير في الامر شيئاً...

- هذا صحيح - لكن علينا ان نجد طريقة ما ... وقال كيلا فجأة:

- الا يستطيع -هودول- وهو سيد سحرة القصر ان ...

-لا اظن ذلك ... لسوء الحظ فإن قوة السحرة غدت محدودة ومنحت سلطتها للملوك ... على كل حال ... لا خيار لنا - علينا ان نقتل ملك الاولميد الذي وضع مفتاح الباب الرابع فتلك فرصتنا الوحيدة - ولم يذكر -سيليان- كيف سيتوصل الى ملك -الاولميد- وتابع:

نحن لانعرف شيئاً عن ذلك ... علينا ان نذهب ونرى ...

وفتح الباب ... ودخل رجل من التوبيك يمسك شيئاً في يده - وبقي برهة يتأمل هذا الشيء ثم بسطه على راحة يده امام رجلي - السيلم-.

وبحذر شديد تناول -سيليان- ذلك الشيء بين إبهامه وسبابته وقال رجل -التوبيك -

- لقد حملتها رياح العاصفة الينا -فهل تعرف ماهي ؟

وتأمل -سيليان- تلك القطعة المعدنية المنقوشه بدقة فوجدها قاطعة كانها من الكوارتز. وقال اخيراً:

- انها قطعة من جناح ... جناح فراشات الحراسة الملكية ... ها هي واحدة منهاوقد غدت غير قادرة على الطيران - فكم فراشة وفرت العاصفة علينا يا ترى ؟

- على كل حال - ليس من مهمات العاصفة ان تنصفنا وان تقيم العدل بين الناس!

ولاح -فيرالد- بخيال -كيلا .... وغامت سماؤه باجنحة معدنية - اجنحة فراشات الحماية الملكية العملاقة التي تحمي ملك الاولميد.

* * *

الفصل العاشر

وقال سيليان في الطريق .... !

- لقد تغيرت بعض الأمور عن سابق عهدها ...

لقد غادرا أراضي التوبيك منذ يومين -فقطعا التلال وراحا يسيران على جانب السهل الكبير ... لم يشاهدا أحداً في طريقهما الا بعض القطعان المنعزلة على جانب الهضبة الاخيرة لم يشعروا بحر او برد، بعض الغيوم فقط عكرت صفو السماء وتجري في وجه الشمس لتضعف حر ارتها - ومن هناك .... من اعلى الهضبة الاخيرة شاهدا القصر من بعيد يغمره ضباب خفيف وتوقفت خطاهما دون ان يتشاورا ... فجلسا على العشب القصير في الغيط يقضمان بصمت قطعة خبز محشوة بالجبن اعدها لهما رجال -التوبيك- وقد غدت سيئة الطعم بعد ان مضى عليها يومان. العشب قاسٍ جداً والسهل مقلق ... فهو قاحل وأجرد ... عندها ادرك -كيلا- معني كلام سيليان

- لقد تغيرت بعض الامور ... لم يعرف ماهي تلك

الامور ... لم يعرف ما هي تلك الامور التي تغيرت بل أحس ان هذا السهل ليس السهل الذي كان يعرفه ... فارضه قد سويت تماماً -رغم اعتقاده ان هذا مستحيل - ولكن -لا - هناك شيء آخر قد تغير ..... انه هو

كانت لدى -سيليان- رغبة في ان يجري في هذا الغيط ... ان يركض - ان يقف عندما يريد ... ان يعدوَ ولكن ... هناك -كيلا- فهو وان كان غير مزعج لكنه موجود الى جانبه وعليه ان يبقى ذلك الجد المحترم الذي هو ... كان يجب ان يحدث نفسه - نفسه فقط .... وظن -كيلا- انه متضايق لسبب ما ....

كان يرغب ان يتدحرج فوق المنحدر تماماً كما كان يفعل عندما كان شاباً ولكن ... -كيلا- سوف ينظر اليه برثاء .... دون ريب ... لذا فهو ... فاقد لحريته ....

فهو اذ يقوم بتربية حفيده يضطر ان يصبح جداً دائماً وان يلعب هذا الدور الذي رسم القدر ملامحه على وجهه ... وتأمل لفترة ما ذلك المنحدر الصغير المعشب وتلك الانحناءة القصيرة !! هل يرغب حقاً ان يتدحرج فوقها؟!

يمكن ... لا ... ويمكن ... ابداً ... قد يكون غدا

عجوزاً حقاً .... فهو جدٌ فقط ... تنهد برهة وهو يفكر .... هل يزعجه -كيلا ! انه غير متأكد ... فهو رفيق دربه وعندما تظلم السماء ويحلولك الليل يشعر -سيليان- بالسعاده لكونه الى جانبه ... ومن ثم -لا خيار- فهما اثنان ... وسيبقيان اثنين ... وقال:

- من هنا تبدأ بلاد ذوي العيون الزرق يجب ان نلتقي بأقل عدد منهم - وكلما تعمقنا بالسهل ... ازداد خضرة ويزدهر على مدى ما نقترب من القصر.

وسأل -كيلا- فجأة:

- هل سنراهم ؟...

- عمن نتحدث يا كيلا ؟!

- عن الناس

- سنحاول ان نتجنبهم ... وبدا الاحباط على الصبي ...

- ما بك يا كيلا ؟

- عفواً يا معلمي لا شيء!

وقال سيليان بعصبية

- قل يا هذا ؟ قل ؟

وندم مباشرة على تلك اللهجة التي خاطبه بها

وبذل جهداً ليتابع حديثه

- يجب ان تقول ما تريد قوله:

- حسناً .

والقى الصبي على العجوز نظرات قلقة - اذ سيقول له حماقة اخرى .وتابع

- لم أرَ طيلة حياتي الا القليل من الناس - فقد رأيت بعض رجال الاوليد . .. لكني كنت خائفاً جداً حتى لا اكاد اذكر من ذلك شيئاً - ولست متأكداً اني أعرف كيف أميز بين الرجل والمرأة بين اليافع والكهل.

- لا تقلق - وأخشى ان نصادف من الناس اكثر مما نريد ... لكن ... اصغ الي - هناك شيئان اسايان يميزاننا عن اهل هذه المنطقة ... عيوننا القاتمة وقاماتنا المنتصبة ... يجب ان لا يعرف احدٌ اننا من السيلم- فمنذ اليوم سنمشي ببطء وننحني الى الامام بعض الانحناء نجر اقدامنا جراً ...

- ولكن عيوننا....؟؟

- هل رأيت ما اعطانا رجال التوبيك؟ قدموا لنا معاطف رغم ان الجو ليس بارداً

- ليس المعطف هو ما نحتاج اليه وانما قبعته .

سوف نسدلها فوق اعيننا على طريقة اهل هذه المنطقة - ولن يطلب أحد منا ان نرفعها ..... فالرجال ذوي العيون الزرق لا يتحملون نور الشمس....

لا يمكنك ان تتصور كم من الصعب ان تسير ببطء عندما تكون معتاداً على السرعة فقد أحس -كيلا - ان عضلاته قد تقلصت وعندما يطمئن الى ان احداً لن يراه كان يمدد قدميه ويسير خطوات سريعة فيشعر ان عضلاته تمددت ويرتاح ومن ثم يعود لاحناء رأسه ... كانت قدماه تدبان بشكل منتظم على الارض وكلما صادف احداً رفع يده بالتحية دون ان ينبس بحرف.

وجلس -سيليان- فوق جذع شجرة مقطوعة .... لقد تعب كثيراً....

ولم يضرب بسيفه منذ زمن طويل فلم تعد عضلاته مرنه لتتحرك بسرعة ... واخذ يستعيد حركته شيئاً فشيئاً وهو يتدرب ويضرب بسيفه جذع الشجرة فمن المهم ان يستعيد قدرته القتاليه كما عليه ان يدرب -كيلا- على القتال. وبدا الصبي تلميذاً موهوباً... وعليهما منذ الآن ان يبقيا معاً بشكل دائم....

وانهكته الضربات الأولى على جذع الشجرة -

لكنه أحس بعد قليل انه تجدد وانه استعاد قدرته على القتال كالسباق ... ومر بيده على مقطع الشجرة وقد بدت حلقاته الصلبة لا تزال تنزف نسغاً لزجاً

- آه لقد تذكر ... حقاً هي الاشجار التي غيرت معالم السهل ... فلا يوجد منها الا القليل ... لقد قطعت الاشجار ... ولكن.... لماذا ؟ وأكد -كيلا-

- لا يوجد في هذا السهل ما يؤكل! ولم يدر لم كان يهمس بذلك همساً رغم عدم وجود أحد فلم يشاهدا اي رجل من -الاوليد- منذ ان وطئنا ارض السهل . فالامور أسهل مما كان يظن وتابعا مسيرهما .... وقال -سيليان-

- انظر هناك ... هناك في الاسفل...

- انه نزل ...

- اقرأ ما كتب عليه ....

كان -كيلا- لا يعرف ما هي الكتابه فاضاف

- انا لا ارى شيئاً...

- هل انت مصاب بسوء رؤية ايضاً؟ الا تستطيع حقاً ان تقرأ ما كتب عليه.

- اقرأ ... وكاد يسدد نحو الصبي انظاراً عاتبه

لولا انه توقف وراح بصره يجوس في الافق البعيد ...

- اعذرني -يا كيلا- فلقد قصرت بواجباتي نحوك! كان علي ان اعلمك القراءة.

اعدك عندما ننتهي .... وقال -كيلا ...

- انه نزل ... اعرف ذلك ... فهو شبيه بالنزل الذي صادفنا سابقاً

- سندخل اليه هذه المرة... فالبلاد آمنه ومن ثم لا خيار لنا اذ يجب ان نأكل.

كن النزل ... معتماً ودافئاً ... وجلس الرجلان في آخر الصالة وقد رفعا قبعاتهما بعض الشيء يترصدان ففي مثل هذا الظلام لا يمكن لأحد ان يرى لون اعينهما.

كانت سيدة سمراء ضخمة الجثة تدير النزل .. تتدلى جديلة كبيرة من شعرها فوق رقبتها تلقي على الرجلين نظرات خاطفه وهي تسجل طلباتهما بيدين قويتين من كثرة العمل.

كان -كيلا- سعيداً جداً فهناك رجال ونساء يجلسون الى الموائد يتناولون عشاءهم:

وهمس له جده:

- لا تنظر الى الناس هكذا -يا كيلا-

واحمر وجه الصبي وازخى بصره فوق صحنه ....
لم يأكل بعد لحم أوز مقلي بالزيت ... كان سروره به كبيراً وقد وجده لذيذاً جداً وشرب لاول مرة بعض الخمر ... ولكن ... عليهما ان ينزعا نفسيهما من هذه المتعة اللطيفة فسيليان- يتعجل الانطلاق اذ بدا له ان الناس لا يجرؤون على الكلام بحضورهما وانهم يرمقونهما بنظرات خاطفة ... بينما لم ينتبه -كيلا- الى شيء من هذا فهو يتطلع الى الوجوه بالحاح مربك اثار الرجل العجوز وجعله يتعجل انهاء طعامه .... واخرج سيليان قطعة ذهبية من محفظته والقاها فوق المنضدة.

تناولتها العاملة واخذت تتفحصها بدهشه حقيقية جعلت سيليان يشعر بالارتباك والقلق وتساءل ... -هل القطعة ليست كافيه يا ترى؟!

وحملت المرأة القطعة الذهبية الى رجلين يتكئان على المنضدة الاولى فراح كل منهما يقدر وزنها بيده -والقيا على المائدة نظرة حاولا ان تكون خفية وتهامسا ببعض الكلمات قبل ان يعيدا القطعة الى المرأة. لكنهما ... لم يحاولا ان يلتفتا ... فهما في نظر الجميع هنا

-مغامران ويبدو ذلك من طريقة حملهما لسيفيهما...

ونهض رجلا -السيلم- بعد ان اسدلا قبعتيهما ... يجب ان يبدوا طبيعيين لا يشغل فكرهما شيء واثقين من نفسيهما .. وتبع -سيليان- ببصره صاحبة النزل وقد راحت يدها تفتش في الدرج ... هل عليه ان ينتظر البقيه ... ام ان يرحل؟...

ولم يطل تساؤله ... دنت المرأه منه بخطوات متثاقلة ... وبلا مبالاة وضعت فوق منضدتهما بعض القطع النقدية تناولها -سيليان- دون ان يحسبها... وبعد ان خرجا من النزل ... واصبحا بعيدين عن الاعين -اخرجها سيليان من جيبه وتفحصها

- اناالتساءل ... كم تساوي هذه النقود.

- ارأيت كيف كانوا ينظرون الى القطعة الذهبية؟

- اظن ان مثل هذا الامر لا يحدث الا نادراً ... فلها قيمة كبيرة - لكن لا بأس - فلدينا منها الكفاية ولا ينقصنا اي شيء. وقال -كيلا-

- لم ترق لي نظراتهم - فهل عرفوا من نحن؟!

- لا -حتماً- لكنهم سوف يخبرون عنا رجال

-الاولميد- واولئك سيعرفون ...

- لكن ... لا يوجد أحد من رجال -الاولميد- هنا!

- ليس هذا مؤكداً - انظر الى هذه القطعة النقدية - لقد نقش عليها -مملكة اوليديا- فالعملة هنا هي عملتهم ... هل تدرك معنى ذلك ... لقد غيرت البلاد مليكها.

والقى -كيلا- نظرة فيما حوله ... ومن جديد - بدت السهول عارية تماماً الا من بعضالاشجار شاهداها من بعيد فشدت في عزائمهما قد تكون الحرائق هي السبب في تصحر الغابة على هذا الشكل فاضطروا لقطع الاشجار... وسارا طيلة اليوم ثم خلدا الى النوم في سفح رابية يكسوها عشب أخضر مرتفع يمسكان بقبضتي سيفيهما ... على غرار ما يقومان به لكل ليل منذ ان غادرا بلاد -التوبيك- وفي الصباح تابعا مسيرهما بقلوب منقبضه تزداد سرعتهما كلما اقتربا من القصر وهما يعرفان .... انه قائم هناك على البعد قائم هناك لكن لم يشاهداه حتى الآن

* * *

الفصل الحادي عشر

كان الليل قد ارخى سدوله عندما بدأت اولى قطرات المطر بالتهاطل ثقيلة دافئة كانها مطر العاصفة واخذ رجلا -السيلم- يركضان بحثاً عن مأوى. هنا يوجد شجرة كرز....

التصقا على جذعها وراحا يلتقطان انفاسهما بهدوء ... كانت السماء سوداء تسدل دياجير الظلام على الطبيعة حتى قبل ان يحل الليل فلا ترى الاشياء ولو على بعد ثلاث خطوات وغدت القطرات اكبر وراحت تطرق الارض بعنف لتبلغ كل نقطه خالت نفسها بمنأى عنها وتثقل فوق اوراق الشجر تضربها ضرباً فترغمها على الانحناء لترمي حملها الثقيل...

واشبعت شجرة الكرز حتى الجذور ... مياه تتدفق من السماء فتسيل على الارض وتتقاطر على الراحلين وصاح -سيليان- بصوت مرتفع كي يسمع جيداً:

- لن نستطيع ان نبقى هنا ...

ورفع -كيلا- رأسه نحو السماء وراح يعب ماء

المطر بنهم فهو لم يرَ من قبل مثل هذا الهطول ... فهو يحب العاصفة ويحب المطر المتدفق ويميل الى كل شيء عظيم -خارق كل ما ينزع المرء من همومه اليومية ويرسم على صفحات حياتك ذكريات لا تنسى ... فيجعلك تشعر ان لك ماضٍ. واخذت المياه تبلل معطفيهما فتتغلغل حتى القميص وتبرده برطوبه لطيفة وقال -سيليان-

- انظر هناك ضوء من بعيد ... يجب ان نصل الى هذا البيت واخذا يجريان وقد رفع كل منهما طرف ردائه كي يعدوا بسهولة اكبر فلن يراهما أحد الان. واتاح لهم هذا جرياً سريعاً تنبثق من احذيتهما حزم كبيرة من الماء الموحل.

كان الضوء يختفي في بعض الاحيان كانما تحجبه اشباح تتراقص ... ولكن ... لا .. فهما اللذان يركضان مسرعين نحو غابة الاشجار الهادئة التي تحيط بالمنزل ... واحس -كيلا- بيد -سيليان- تشده الى الخلف:

لقد بلغا الغيضة وشاهدا لوحة معدنية على الجانب الآخر من الطريق تصطك تحت قرع المياه ... وصاح -كيلا-

- انه نزل آخر.

واطبق -سيليان- بيده على فم -كيلا- كي لا يسمع صوته. لكن العاصفة تصدح بشكل لا يتيح لأحد ان يسمع فيها صوتاً. وهمس -سيليان-

- سأذهب لالقي نظرة على الداخل من النافذة...

لم تكن اشجار الدغل كثيفة بحيث تسترهما عن الاعين فاوراقها لا تزال صغيرة ومتباعدة وتقدم -سيليان- نحو الطريق - عندها قطعت السماء ومضات برق تلاها قصف رعد شديد دهش له -كيلا- كثيراً ... فها هي العاصفة تقوم بدورها فتضيء لك الليل وتقرع الطبول بإيقاع منتظم كي تصفق لها.

وارتد -سيليان- الى الخلف- تماماً قبل ان يقصف الرعد وراح يصغي بصمت ... كانت قطرات المطر تسحُ على شاربه ثم تتغلغل في لحيته - ولم يعرها اي التفات لقد كان يرتعش فالمطرقد اغرق معطفه تماماً وتسرب الى قميصه فلم يعد يدفأ بحال من الاحوال.

وعليه ان يجفف ثيابه سريعاً قبل ان تستهلك الرطوبة كل مخزون جسمه من الدفء.

كان الرعد يمنعه من ان يسمع ولكن لا بأس فعليه الان ان يختبىء فهناك بعض الفرسان. وللمرة الثانية ابتعد سيليان واختفى في اعماق الحرش حيث صعدت الى انفه رائحة قوية من شجر الريباس بعد المطر ....

كانت خطى الفرسان تدب فوق الطريق وتزداد اتساعاً مما يوحي بأنها تتباطأ في سيرها... ودبت الخيل ببطء فوق بلاط الساحة ثم توقفت ... وازداد -سيليان- انكماشاً ونظر اليهم ... طوال القامة نحاف الاجسام عد منهم اربعة على وميض البرق وفتح باب النزل ناشراً ضوءاً دافئاً ومرحباً ... عندها رآهم -سيليان- بشكل كافٍ وانتظر حتى اغلق الباب من جديد ليرجع نحو الحرش: وقال:

- هؤلاء الفرسان من -الاولميد- وقد بدت هياكلهم في الليل كانهم من المغامرين الاشقياء وقد رأيتهم لعدة ثوانٍ ثم عاد الظلام يخيم من جديد.

كان الحرش الذي يتجهون اليه بعيداً وانكمش سيليان كي لا تطوله المطر باوسع مداها وسمع -كيلا - صوتاً فاصفى واضعاً يده على جبهته وقال:

- اسمع ثغاء عنزة ... وبدون تفكير - سارا باتجاه

الشغاء ... لقد كان هناك ما يحلمون به فعلاً - مأوى صغير للعنزة ... بيت صغير منخفض اندسا فيه وهما يزحفان الى داخل الحظيرة الصغيرة.

ولم تجفل العنزة الصغيرة منهما بل اخذت تلمس وجه -كيلا- هو يلمع قليلاً في الظلام وتوسدت الارض بين رجلين جاءا يقاسماها فراش القش ... واخذت تثغو مرة اخرى قبل ان تغط في النوم.

كانت اسنان - كيلا- تصطك من البرد عندما دخل الحظيرة ولكن ها هي الحياة تدب فيه من جديد من دفء هذا الحيوان وعاد جسمه يتمدد بشكل طبيعي شيئاً فشيئاً يتابع بعينين مفتوحتين ذلك المهرجان الذي يجري في الخارج دون ان تفوته ثانية واحدة منه.

وانتظر قصفة الرعد الاخير... وانتهى الامر فلم تعد تبرق بل بقيت الامطار تدق بدون كلل على السقف الذي تكِفُ منه المياه ...

* * *

وانتفض -سيليان- برعب عندما سمع صوتاً يقول له :

- سيدي

كانت شمس اليوم التالي قد طلعت ورأى امرأة تهز له قدمه

سمع -كيلا- الصوت لكنه لم يتحرك بل مد بصره نحو الضوء الداخل من فتحة المكان كانت المرأة ذات عينين ذرقاوين ووجه وضاء شديد النعومة وقالت:

- يجب ان تغادرا المكان - لقد بزغ الفجر وهناك اربعة من رجال الاولميد في النزل سوف يخرجون عندما سترتفع الشمس.

- ولماذا تبلغينا ذلك؟

- ارى يا سيدي جيداً انكما من -السيلم- ولا ترغبان حتماً ان تلتقوا برجال -الاولميد.

- سنرحل

ونهض -كيلا- امرأة من ذوي العيون الزرق ... ويراها عن كثب!!

- لماذا تحذرينا؟ وهل رأيتنا ندخل هذا المكان؟

- ارحلا ... وتقلص وجهها قبل ان تضيف:

- رداً على سؤالك الثاني - لم اشاهد كما تدخلان لكنني جئت من أجل العنزة

قالت ذلك وقد تنهدت

- هل ستأخذينها الى المرعى ؟

- لا ..لا .. علي ان اقتلها - فهم يجبرونني على ذلك ...

وغرقت عينا المرأة بالألم وامتلأ صوتهابالدموع ....

- انهم رجال -الاولميد- يريدونني ان أقتلها فهي لم تعد تعطي حليباً......

- ولكن ... لماذا ؟

- انها عنزة لا تأكل الا قشر شجرة الصنوبر لكنهم وقد قطعوا كل اشجاره ... ها هي تعتل وتفقد صحتها فمن اين لها بقشر الصنوبر؟

- لكن ... لا يزال هناك بعض الاشجار....

- لا يوجد الا قلة من الاشجار المثمرة فقط - اما الاشجار الاخرى فقد غدت عديمة النفع ...... هكذا يدعون!

- وسالت دموع الحزن على وجنتيها الشاحبتين

- لكن كيف تركتموهم يقومون بكل هذا ؟

- لانهم أقوياء

- لماذا لم تطلبوا مساعدة رجال -التوبيك- ؟

- رجال التوبيك - انت لا تعرف بماذا يفكرون ...

والقت نحو النزل نظرات قلقة وقالت:

- خذوا العنزة معكم خذوها بسرعة

- فعلى جوانب مفازات الوادي توجد غابات من شجر الصنوبر وقطعان من الماعز البري. وسأدعي انها هربت

وقال -سيليان-

- ليس طريقنا من هذه الناحية ...

وقال -كيلا-

- سيدي - دعنا نأخذ هذه العنزة معنا ... ارجوك...

وداعب -كيلا- رأس العنزة النحيل وفمها الدقيق وقرنيها المعكوفين الطويلين فقد غدا يعرفها جيداً ... لقد تبادلا الدفء وكانت صديقة له

وقال سيليان بتصميم

- ليس هذا طريقنا ... لكن -كيلا - قال فجأة:

- لسنا متأكدين من ذلك فالطريق القصير ليس دائماً الطريق الأفضل.

والقى العجوز عليه نظرة دهشة وداعبت شفتيه ابتسامة قصيرة وقال:

- قـــد يكون القـــدر هو الذي وضع العنزة في طريقنا وقالت المرأة:

- سوف يتحسن الجو عما قريب.

- يجب الا يبدو علينا اننا نتخفى ....

وخلق هذا الرحيل المفاجيء شكوكاً في نفسيهما فتلفتا حولهما متطلعين جيداً وسارا بخطىً متباطئة قبل ان يبلغا الطريق يعتمرون القبعات التي تنسدل فوق اعينهما ....

لم يتمكنا من تناول اي طعام -وها هما يتجهان نحو مفازة الوادي بدلاً من الاتجاه نحو القصر -وكتم سيليان تنهيدة حارة.

كانت العنزة تدب خلفهما يهتز جسمها برتابة من رأسها حتى آخرقوائمها ... وفي الحقل ... كان الرجال ذوي العيون الزرق يعملون ... هكذا طلب اليهم حاكمهم الجديد. وتذكر سيليان انهم كانوا يعتبرون من الكسالى وعلى الطريق ... كانت قوائم العنزة تصطك بصوت أجش والفلاحون يرفعون رؤوسهم يتطلعون الى

المجموعة التي تمر من خلال قبعات تخفي منهم الوجوه.... هم لا يعرفون الرجلين ... لكن العنزة !

وقال سيليان في نفسه:

- يجب ان نغادر هذا المكان بأسرع ما يمكن - فالعيون الصامته تربكه ... وغدا الطريق صاعداً - ولحسن الحظ انهم لا يقومون بحراثة المنحدرات - فشاهدا بعض الاشباح من بعيد وانتهى كل شيء بعد ذلك.

كان العشب هنا اكثر اخضراراً لكن العنزة لم تأبه له ولا تقضمه الا اذا نهش الجوع معدتها. واحست انها ستأكل اليوم قشر الصنوبر فأنفها لا يخدعها - واشجار الصنوبر لا تزال بعيدة ... هناك في المرتفع لكنها تتجه نحوها مباشرة

وتسارعت خطى العنزة على طريق مليئة بالحصى وراحت قوائمها تدق فوقها بسرعة متزايدة - ولم يبدُ على الرجل الذي يمسك بالحبل انه على عجلة من أمره

ها هو يقف ويتفحص بدقة بعض الاشجار كانت هناك تظلل جانبالهضبة. وغدا الهواء اكثر رطوبة وقال:

- انه الخريف - وهذه اشجار تفاح ومن المفيد ان نذهب ونرى فنحن لم نأكل شيئاً وقد نتعرض لان لا نجد ما نأكله

وراحت العنزة تثغو ... ماذا يفعل الرجلان ... ها هما يلتقطان كرات حمراء وصفراء يملآن منها حقيبتهما ... ومرر كيلا حزام الحقيبة فوق رأسه وهو ينزلها على الارض ... لم يكن يحب التفاح كثيراً ... لكنه كان جائعاً ... وسوف يعتاد عليه.

ولم يتحدث -سيليان- بشيء ومع ذلك فهم -كيلا- ان عليهما الا يدعا أحداً يتعرف عليهما وان يسيرا في الاماكن غير المأهولة ... ورفضت العنزة ان تأكل لب تفاحة.

وكان سيليان في كل وقت يرسم في ذهنه صورة دقيقة للقصر وكانت ذاكرته تقدم له كل يوم عنصراً جديداً ... وقد حاول ان يتذكر نظام الغرف في القصر والسلالم لكن كل هذا بدا غائماً ... كان يتذكر غرفته جيداً وغرفة اخيه - فال- دون ان يتوصل الى معرفة كيف كانوا يصلون من الواحدة الى الاخرى - وكيف كانت تفتح النوافذ!

وفي النهاية ... عدل عن الاجابة عن تساؤلاته الشخصية وترك نفسه يغوص في اعماق الذكريات ليتذكر ماذا حدث!

في احد الايام -جاء- فال- الى غرفته سراً - واخذ منها أجمل اوراقه الجلديه ليخط عليها رسوماً ... وعرف ذلك -سيليان- فاستولى عليه الغضب وترك غرفته ... وبخطىً تميزت بغضب مكبوت خرج وصفق الباب خلفه بشده ... هو يتذكر الان اصطفاق الباب كان له من العمر حينذاك عشر سنوات يتدلى شعره على شكل حلقات ثقيله حول رأسه.

انه يتخيل الآن الممر وانحناءته نحو اليسار ثم بابين آخرين .. حتى وصل الى غرفة -فال- وتلاكم الاثنان باليدين وبالقدمين وعوقب الاثنان بعد ذلك وحجزا في غرفتهما حتى المساء مما اثار حفيظته -كل هذا بسبب -فال- وترك نفسه بعد ذلك يرتمي فوق الأريكه تتدلى قدماه من الجانب الآخر للمسند. كان هذا المقعد في غرفته في ذلك الحين.

* * *

كرة زرقاء ... اندفعت .. ولم يرها وهي تمرامام عينيه ... يا للعجب - لم يسمع أحد يتحدث عن شيء كهذا ... وراحت العنزة تثغو وتتخبط بعنف وهي تعالجها فترفس وتعض دون ان تتمكن من نزع هذه الكرة عن قرنها ... واخذت تثغو بغضب وتهز رأسها بعنف امام عيني الرجلين المشدوهين الفزعتين -قال سيليان:

- انه سنجاب ازرق ... وقال:

- انه يأكل قرنيها يا سيدي ...

كان السنجاب الازرق يقضم قرنها دون ان يتأثر بعضلات العنزة القوية يقضم بكل سرعة اسنانه الدقيقة وقد تعلق بها بقوائمه ذات المخالب الحادة.

وامسك -كيلا- عصا بسرعة ... لكن سيليان كان أسرع منه اذ ضرب السنجاب الازرق بقفا يده ضربة صرعته فهوى على الارض وهو يحدث صوتاً كتيماً -وقال -سيليان-

- هو مغميٌ عليه فقط - هيا بنا نرحل يا بني ...

والعنزة لا تزال مضطربة ترتجف فتتقدم الى الامام بخطىً متعثرة وغير متوازنة محنية الرأس وقد أتى

السنجاب على نصف قرنها تقريباً ....

كانت تثغو في بعض الاحيان بصوت مختنق من الألم وقد امسك -سيليان- بها باسلوب ما يحاول ان يزيد من سرعة سيرها وهما يصعدان المنحدر القاسي وكيلا - يلهث في اثره.

فالسرعة والطريق الصاعدة تضيق علي رئتيهما فيلهثان بصوت مسموع وقوائم العنزة ترن فوق الحصى...

لكل هذا لم يسمعاهما عندما اقتربوا....

* * *

الفصل الثاني عشر

- توقفا ...

وتقطعت أنفاس الرجلين ... وعلى عرض الطريق برز ثلاثة فرسان طوال القامات نحاف الاجسام سود العيون....

- يحظر على رجال السهل ان يغادروه فأين تذهبان؟

وتظاهر سيليان بالاطمئنان والثقة ... اذ يجب الا يخالج رجال الاولميد الشك في شخصيهما .. ثم اضاف...

- بأمر من سيد -الاولميد- الكبير!

وانحنى حتى كاد يلامس الارض ....

وبينما كان الفرسان يتبادلون نظرات التشاور ... كان وسيليان يحاول تجميع افكاره وهو لا يزال محنياً ليعرف كيف يجيب لو سألوه:

- لماذا اعطاكم هذا الأمر المخالف للقانون!

ولم يجرؤ -كيلا- ان يرفع عينيه كي لا تخونه

نظراته. وعلى مدى خطوتين منه كانت العنزة تضطرب وقد اعترتها رجفة عصبية وتابع بدون تفكير:

- ان العنزة مريضة!

- مريضة؟! واضاف سيليان:

- نحن ذاهبان لنشردها في الجبل . واخذ نفساً طويلاً.

فقال رجل الاولميد وهو يدنو منها ...

- ان كانت مريضة حقاً فاذبحوها وينتهي الأمر ... وانحنى الرجل فوقها فصاح به سيليان

- احذر - لا تدن منها - فهي مصابة بأسوأ انواع الامراض....

- ما هو هذا المرض؟ ... وبدأ -سيليان- يقول : انه .....

- لا .... لا .... صه .....

وس حل الاولميد الى -كيلا- ولم يرَ وجهه تحت القبعة التي تستر س أ عيون سكان السهل.

لكنه ادرك بلا ريب انه شاب .. ومن السهل جداً ان يضطرب لو شك الفرسان بشخصيهما. واشار -سيليان- للصبي قائلاً:

- قل لهم انت يا -كيلا- واجاب بصوت هادىء وهو لا يرفع نظره عن العنزة:

- انها مصابة بجزام الغنم وقد استولى على أحد قرنيها ومن يقترب منها يصاب بالعدوى ويموت خلال ثلاثة ايام ... واذا ذُبحت واصابك بعض رذاذ من دمها فستلاقي نفس المصير. وعليه يجب الا تعرضوا انفسكم للخطر - ولقد كلفنا اختياراً بالقرعة ان نشردها في الجبل - لهذا نحن على عجل من أمرنا ونرجوا ان نتخلص بسرعة من هذا الحيوان الملعون وقال -سيليان-

- نحن نمسك برأسها فقط وارجو الا تصيبنا العدوى عن طريقه.

ودار الرجل على فرسه - وتراجعت الخيول الى الخلف وتلمس الرجال الثلاثة تعويذات مدلاة في اعناقهم واخلى الفارس الطريق للرجلين والعنزة ثم حث رفيقيه ان يتبعاه وان ينعطفا بحذر وانطلقت الخيول تعدو ..

وتابع -سيليان- وكيلا طريقهما الذلول صاعدين بخطىً غير مطمئنه ...... وبدت العنزة اكثر هدوءاً .

لم يكن على طول المنحدر اي عشب بل كانت الحصى تبرز رؤوسها الحادة فتنغرس في اقدام الراحلين ... وانتثرت هنا وهناك بعض الصخور بدون انتظام فوق التل واجتازتها العنزة بنشاط فاضطر سيليان ان يترك لها الحبل واستمرت تتواثب هنا وهناك دون ان تلتفت للرجلين وهما يتسلقان بصعوبة اكداس الصخور بايديهما ورجلهما.

واطلا على مشهد رائع شد ابصارهما:

كان القصر هناك في اعلى الجبل قريباً جداً – يسمو بكامل ابراجه المدببة التي تشبه قمم الجبال المجاورة له . واحس -سيليان- ان كتلة من النار تشتعل في صدره وتستولي حرارتها على كل كيانه . نعم ... ها هو بيته .... مرتع طفولته .. لا يزال كما كان في ذاكرته عظيماً رائعاً واجمل مما يتصور ... ان السيد في هذه المملكة ليس رجلاً لا هذا ولا ذاك – انه القصر – القصر نفسه ... وليس الجميع الا خدماً حذرين وبسطاء له ولكنه اليوم ... جدرانه تأوي روحاً شريرة ... روحاً تدعي انها حتى فوق هذا القصر روحاً انتزعت حق الحياة والموت من اولئك الذين كانوا في سابق العصر

يتظللون بحماية هذا الصرح الضخم ...

ها هو عرق التوبيك - ينقرض بالتدريج - وغدا الرجال ذوي العيون الزرق عبيداً اذلاء وطرد منه رجال -السـيلم .... سـيـدفع -الاولميـد- ثمن كل هذا سيدفعون ثمن خيانتهم. وشعر -كيلا- بالفرح يغمره.

كانت شمس المساء تتوهج فوق ابراجه الصغيرة وكانها من احدى قصص الجان فترسل ظلالاً متطاولة بعيدة المدى كانها تنقل سلطة القصر الى اعماق الوديان .

وشعر -سيليان- بحنجرته تتضيق ويكاد يبكي وان شيئاً في داخله يوشك ان ينفجر ولكنه لم يتحرك ولاحت على شفتيه ابتسامة ناعمة - ابتسامة المنتصر- ابتسامة الظفر.

وغاص الشعاع الأخير من اشعة الشمس الآفلة بين القمتين ليمحي الحياة عن هذا المشهد ...

ولاحظ الرجلان بعد ذلك ... ان الهضبة آخذة في انحدار خفيف نحو غابة الصنوبر التي توقفا عندها .. واختفت فيها العنزة ... لكنهما بقيا لفترة ما يسمعان صوت ثغاء متعدد النغمات وقال -سيليان-

- يجب الا يطول مكوثنا ونحن بلا مأوى فوق هذه المرتفعات فسيبرد الجو ليلاً وعلينا ان نبلغ الغابة بسرعة. وباتا ليلتهما تلك بين قطيع من الماعز البري لم يزعجه مرورهما بقربه لقد شعر القطيع بوجود العنزة الجديدة فلم تُخفْ رائحتهما احداً منه. كل ما في الأمر ان العنزة لم تنم ليلتها تلك بل راحت تقضم بنهم قشر الصنوبر ويسمع لها صوت قرض خفيف ...

كانت تبدو هزيلة اكثر من غيرها ... لكن -كيلا.... كان يبتسم لها ابتسامة ملؤها العطف والحنان ... وستبقى عنزته دائماً....

وراح بعد ذلك يغط في نوم عميق وكانه لا غدَ له .. وكان هذا اليوم أجمل يوم في حياته ... وعندما افاق - كانت العنزة ذات القرن المقطوع لا تزال مستلقية الى جانبه تداعب وجهه بلحيتها البيضاء والرمادية كلما تنفس او رفع رأسه.

ومنذ ان غادرا الوادي ... كان كيلا - يستيقظ كل يوم خافق القلب - فلم يتحرك مباشرة بل يرفع رأسه شيئاً فشيئاً ليدقق فيما حوله - فقد تمكن منه الحذر - وتذكر فرسان الاوليمبد في الأمس وأحس برعشة

تستولي عليه:

كان سيليان يتأمله دون ان يتفوه بحرف وهز رأسه كما لو كان وحده .. ان هذا الصغير يعرف كيف يتصرف كان من الواجب ان يشكره على حضور ذهنه أمس لكنه ... ليس مبدعاً في الاطراء ... بل لا يتقن في اعماق نفسه سوى التأنيب .... كان والده هكذا وكان يتضايق ويتذمر منه ... وها هو بدوره يتصرف بنفس الاسلوب: التأنيب عندما لا تسير الامور بشكل جيد !! فهل يستطيع الآن ان يغيّر ذلك !!

على كل حال يجب الا يشعر الصغير انه لا يحبه وسأله:

- هل انت جائع؟!

ورد -كيلا- بحركة في وجهه وقبل منه تفاحة رغم ذلك. وقال سيليان:

- علينا ان نستعيد قوانا فقد نحتاج اليها. وسأله -كيلا:

- ما هو برنامجك وقام سيليان بحركة لا معنى لها

- برنامج ... اي برنامج .. لا مخطط لديه فهو لا

لايرتأي ... وقال اخيراً ... - سوف نحاول الدخول الى القصر ندخله كتجار او كشعراء غنائيين وقال -كيلا-:

- سندخل الى فم الذئب ورد سيليان:

- اخشى الا تكون هذه الكلمة في محلها:

- يجب ان ندرس كل الطرق ... وارى ان نذهب لمقابلة -هودول-

- انت لا تعرف شيئاً عن -هودول!

- ولكن - لماذا يخاطبه -هكذا ؟ وكانه احدى المنغصات التي تلازمه ...

كان التفكير في هذا الموضوع مؤلماً جداً فهو طليق تماماً وحر وعليه ان يتذكر ان الصبي لاقى من العناء ما فيه الكفاية وانه يحق له ان يتكلم.

وقال سيليان بصوت اكثر لطفاً :

- علينا ان نصل القصر في الليل. وانا ادرس وسيلة الدخول اليه فإن لم نفلح لجأنا الى -هودول- وهز -كيلا- رأسه فهو لا يزال متأثراً منه بعض التأثر - متألماً ومثقلاً أيضاً .

وامسك مقلاعه واطلق حصاة ارتطمت فوق صخرة كبيرة وتردد صدى الصوت على الجبل من اعلاه الى

اسفله وكانه مئات الاصوات . وقال سيليان:

- سنرحل ....

ونزع الصبي الحبل الذي يتدلى من عنق العنزة وداعب فمها وكانه يودعها ... وهبط المنحدر خلف جده دون ان يلتفت خلفه ... وتوقف فجأة عن قضم تفاحته وقال:

- سيدي ... نحن نسير - كسائر ....

- انت على حق فنحن نمشي كما نحن لا كما يجب علينا ان نسير والقيا نظرة فيما حولهما ... يبدو ان لا أحد هناك ... على كل حال يجب الا نعرض انفسنا لشيء واحنى -سيليان- ظهره وهو يتنهد وعاود السير بخطى قصيرة وكيلا يتبعه على نفس هذا الوضع المتعب -سيما في المنحدرات حيث يحتاج المرء ان يرفع ظهره الى الخلف كي يخفف شدة الانحدار ... واختفى القصر من امامهما وراحت اقدامهما تدب فوق اشواك الصنوبر.

وفي اسفل الهضبة وعلى ما يذكر -سيليان- تأتي هضبة ثانية مستوية نوعاً ما ويسترها العوسج - ومن هناك اذا لم يستطيعا ان يحددا طريق الوادي الأخير

فسيحتاجان لمزيد من الايام ... وتمتم -كيلا- بين اسنانه:

- هناك رجل أمامنا

وضيق سيليان فتحة عينيه ليرى جيداً هيكل هذا الانسان ... وعرف فيه فلاحاً من العرق المحني عرق الرجال ذوي العيون الزرق وهمس سيليان

- لقد رآنا .. لكنه لم يلتفت بل تابع حراثة أرضه

- انا واثق انه رآنا - فالفلاحون يرون كل شيء. .... لنبتعد عنه !!

- لا فائدة من ذلك ... انظر يساراً تر فلاحاً آخر ... فهذه الهضبة الفسيحة لم تكن مأهولة في السابق - لكن الزمن قد تغير .. وسألهما الصوت من تحت القبعة:

- هل تقومان بنزهة ؟

- نحن في طريقنا الى الوادي وتابع الفلاح:

- انه الوادي حقاً ... وهو افضل من الهضبه - أرضه طيبه يسهل حرثها فلا يحتاج الانسان ان يكسر ظهره في هذه الامكنه.

- الا تملكون ارضاً في الوادي ؟! وقال الفلاح

وهو يرفع كتفيه!

- نحن لا نملك شيئاً على الاطلاق ... فالحكام الجدد يسخرون من قول:

- ولمن ذاك ؟

كله لهم - وهم يوزعون علينا العمل - هذا كل شيء نحن عبيدهم لا اكثر ولا أقل ... هذا ما نحن فيه:

وهز -سيليان- رأسه دون ان يعلق بشيء. فقد منعه الحذر من ان يقدم اي تفسير وسأله:

- هل تستطيع ان تدلنا على الطريق الى الوادي...

وقال الفلاح:

- نعم - هذا ما اقدر عليه! اتجها نحو اليسار لمسافة ميل واحد تجدونه في مواجهتكم - سيرا بمحاذاته نحو اليمين ...

وابتعد شبح المسافرين نحو السهل - وتابع الفلاح حراثته بتثاقل وعلى ارض رطبة رخوة لم تترك عليها خطاهما اي أثر ....

* * *

الفصل الثالث عشر

أضرموا النيران فوق القارب ... نارٌ كبيرة في وعاء معدني ليضيئوا ذلك الليل البهيج ... فاتار -يقف ساكناً في مقدمة القارب الامامي وهو يقود القافلة وكانه شبح لا يرتاح الا للظلام ...

فاليوم ... يوم عظيم ... وها هو يقود شعب الاولميد نحو الاراضي الجديدة المفتوحة التي استولى عليها جنودهم الابطال من مملكة قبائل -السيلم- سابقاً...

كانت النيران تحدث ظلالاً متماوجه على طول الشاطىء .. والطبول تدق بلطف تحت اصابع العجوز المعقدة ... كأن الليل لهم وحدهم ملأوه وطاردوه بانوارهم وأصواتهم فشلوا حركته.

وهمس -كيلا- بصوت يرتجف:

- اين نحن يا معلمي ....

كان يصغي الى طبول الليل دون ان يتحرك حتى لا يكاد يتنفس وقال سيليان

- لقد أخطأنا في السير طويلاً كان علينا ان نتوقف قبل حلول الظلام وان نفكر ... فلسنا الآن على الطريق الصحيحة ... انا واثق من ذلك ...

وشعر بالضيق ... و قد يكون هذا مجرد احساس فقط ... لكنه تأكد فجأة انه ليس على طريق الوادي ...

لقد امتلك قرع الطبول كل شيء في هذا الليل - ومن المستحيل ان نعرف من اين يأتي الصوت - لقد كان يدوي على الجبال فترده هذه في كل الاتجاهات.

وانكمش رجلا -السيلم- لاقصى حد ممكن يأملان ان يحميهما هذا التجمع من الاخطار المحيقه ولم يدريا إن كان قرع الطبول ... يدنو منهما ام ينأى.

كانا قرب صخرة تشكل لهما شبه ملجأ ... لكن حوافها المدببة كانت تؤلم ظهر -سيليان- غير انه غدا يعرف بعض الحقائق الهامة وقد تكشفت له.

وفي الصباح ... كان الجو قاسياً شديد البرودة ... وقد هدأت الطبول دون ان يعرف في اي وقت كان ذلك. كان الجو باهتاً بارداً يحجبه ضباب خفيف وكانه يوقف الزمن .... وشبك سيليان ذراعيه وقد ادخل يديه في كمي ثوبه ورغم دفء وحرارة ردائه الصوفي - كان

يرتجف ... كان لا يرى شيئاً وراء افق صغير مستدير
: كيف سيختار طريقه في هذه الظروف ...؟ ولم يبدل
كيلا- مكانه بل وقف يستند الى الصخرة الكبيرة
وقد ثبت ظهره بين حافتين حادتين من حوافيها ينتظر
قرار -سيليان-. لم يكن خائفاً فقد تعطل فكره بسبب
رطوبة الجو وبرودة الهواء ....

وباصابع متجمدة أخرج من حقيبته تفاحة ...
والقى بأخرى الى -سيليان- ولم يستعمل يده اليمنى
بل تركها دافئةً في جيب معطفه وبدا كانه لم ينم طيلة
ليله ... ليلاً طويلاً رهيباً ... ولا تزال الكوابيس
، الاشباح تختفي وسط هذا الضباب الرطب وقال
بصوت متحشرج

- لا نستطيع ان نرى شيئاً ...

وتكلم بصوت منخفض وكانه ليمزق بعضاً من
هذا الضباب وخرج صوته من فمه جافاً قاسياً له لهجة
غريبة ... ولم يجبه -سيلان- .... بل انحنى يلتقط
التفاحة التي ستكون وحدها فطوره - وراح يحلم
بشراب ساخن ... وبدا الامر مضحكاً ... فالخطر لايزال
يحدق به من كل جانب ويحلم بشيء لا قيمة له.

ولم يشتك -سيليان- او يتذمر بل اخذ يقضم تفاحته وهو شارد الذهن.... سوف يشعر .... بالعناء خلال الايام القادمة ... وتمنى لو تخلى الجميع عن كل شيء وقال في نفسه: - لماذا كل هذا العناء؟ لكنه أحس بشيء يمنعه من ذلك ... قد تكون نفسه فهل خجل من ضعفه امامها!

اما -كيلا- .... فلم يوجه لنفسه اي سؤال ... ويبدو انه ادرك اهمية هذه المهمة فتغلب على خوفه.....

- كيلا ... كيلا ... ورآه سيليان يترك فمه مفتوحاً وكانه ليعض على التفاحة لكنه لم يفعل وبقيت عيناه مفتوحتين ... والتفت حيث اتجهت انظار الصبي فرأى .... رأى عنكبوتاً عملاقاً - يبلغ طوله ارتفاع رجل ... لم يتحرك العنكبوت بل بقي متعلقاً بقوائمه الوبريه يلمع بطنه الرمادي تحت ندى الصباح وكانه قوقعة سلحفاه ويرسل بريق عينيه السواداوين على الرجلين يتحرك فكاه السفليان ببطء ومرت لحظة الرعب ... وبقي صوت واحد يصيح بهما في داخلهما -أن اهربا ...

رغم القناعة بعدم جدوى الهرب فاطراف العنكبوت الطويلة القوية يمكن ان تلتقطهما بسرعة واضطربت عيونهما بحثاً عن مخرج من هذا المأزق ... لكنهما لم يريا سوى الضباب والحيوان لا يزال متربعاً.

واستجمع -كيلا- شجاعته وحدج العنكبوت بعينيه ... كان ضخماً لذلك كان مخيفاً يفوقه حجماً... لكنهم لا لن يخافانه - نتج خوفهما من ذلك الفرق بين حجمه الحالي والحجم الذي يجب ان يكون له ... اما عيناه ... وغمغم -كيلا-:

- انه جائع فقط ... فهو ينظر الى تفاحتي ... وبدون ان يرفع بصره عنه ادخل يده في الحقيبة واخرج تفاحة القاها له بقوة ...

التقفها العنكبوت بسرعة وتراجع الى الخلف وعيناه لا تزالان مسمرتين على الرجلين واختفى وسط الضباب ... ولذلك ... ادركا ان هذا الضباب غدا اكثر خطورة ... فأي اخطار مجهولة تكمن فيه يا ترى ! وتمتم سيليان:

- آه لو أعرف اين نحن الآن !

- اسمع !!

- أسمعُ صوت هدير من بعيد ... أسمعه منذ حين...

وقال سيليان ... انه هدير الماء في شلالات وادي النهر فأنا اعرف صوتها ... ونحن اذن قرب وادي -هورلمون- وهذا صوت النهر فمياهه ترغي وتزبد في وهدة -هور- فلها عدة ارتفاعات تضاعف شدة الصوت بشكل غير معقول : ان هذا المكان خطير جداً يا -كيلا- وعلينا ان نغادره بأسرع ما يمكن ... وحملا حقيبتهما وهبطا منحدراً معشوشباً ... لا يعرفان الى اي مكان يقصدان ... المهم انهما تركا الوادي خلفهما ... وعند ذلك سمعا صوت وأزيز معادن - عرفه سيليان مباشرة فركع على قدميه واستل سيفه ووقف -كيلا - من ورائه يقوم بمثل ما يقوم به. وتلون الضباب بلون أحمر وكانه يتصارع مع الشمس، وتمزقت الظلال شيئاً فشيئاً فاصبحت خيالات عريضة لم تلبث ان تلونت بأشعة ذهبية ... عندها عرف -كيلا- انها فراشات الحراسة الملكية ... فأخذ يضربها بسيفه يضرب ويضرب محدثاً صليل معادن تهز يده حتى كتفه ... وبدا ان ضربات السيف لا تعمل في الفراشات فهي لا تكاد

تهتز الا بصعوبة واخذ جناحها الجداري يجبر الرجلين على التراجع وصاح -كيلا - يخاطبها:

- لماذا تقومون بهذا ونحن لا نريد بكم شراً ....

لكن اجنحتها اخذت تلمع وتصطفق بقسوة وتضرب ضربات منتظمة وهي تتقدم باستمرار وفجأة اندفعت احداها مرتفعة نحو السماء وتبعته الاخريات باجنحة واسعة تثقب الضباب محدثة ازيزاً هائلاً ...

وبقي الرجلان متشنجي الفكين لا يقدران على التنفس ... يشدان على مقبضي سيفيهما حتى ابيضت مفاصل أصابعهما.

وعاد الصخب من جديد موحد النغم وانقض ظل كبير فانبطحا ارضاً ... لقد عادت الفراشات من جديد وسمع الصفير مرة اخرى ونهض الرجلان وراحا يعدوان بكل قوتهما حتى ارتميا على الارض ... ثم وقفا من جديد يتابعان جريهما المجنون بحثاً عن مأوىً - كانا يجريان نحو فتحات الوديان دون ان يشعرا ... وتبدد الضباب ولكن السماء بقيت مظلمة باجنحة الفراشات الهائلة ... ولا ذ الرجلان بالفرار فلم يعد السيف مجدياً وعليهما ان يختبئا .. كان -سيليان- اول من ادرك ان

هدف الفراشات هو دفعهما نحو النهر وها هم يسمعان خرير المياه ... وصاح سيليان

- لا تتراجع يا كيلا .... لكن -كيلا - لم يسمعه

- قف يا كيلا ... قف ...

وانبطح -سيليان على الارض يحمي بيديه مؤخرة رأسه يجب ان يقاوم .... عليه ان يقاوم من هذا المكان ... كانت الفراشات تكاد تلامسه بأطراف اجنحتها كي تجبره على الوقوف لكنه تماسك جيداً وصاح:

- تمدد يا -كيلا- تمدد انت ايضاً ..... لكن هل يسمعه -كيلا-؟ انه لم يعد يراه وكان الوقت متأخراً ومتأخراً جداً عندما ادرك -كيلا- بأن لا مهرب لهما...... والتفت وهو يلهث ....

- اين سيليان ؟

كانت الهوة تحته مباشرة والفراشات تنقض فوقه رفوفاً مكثفة وكانها موجة ضخمة تلاحقه من الامام ... من اليسار .... من اليمين ... من خلف مجرى النهر ...

وتعطل تفكيره ... فلم يعد يرى الا تلك الانعكاسات اللامعة ... ولم يتذكر كيف خطا الخطوة الاخيرة التي كان عليه الا يخطوها! مهما كان الثمن!

وسمع -سيليان- صيحته فتقلصت يداه على الاعشاب وانتزع نفسه من الارض بلا وعي -كيلا - كيلا ... انه الان على بعد خطوات من الهوة ...

- اين -كيلا- لقد ضاع الولد! وعليه لكي يحافظ على نفسه ان يرتمي على الارض بلا حراك

كانت اجنحة الفراشات تلامس ظهره فيشعر باطرافها المعدنيه تجري فوق ثيابه وتمزقها ... وتذكر القطعة المعدنية التي عرضها عليه رجل -التوبيك- كانت نصلاً حاداً وعرف سبب تلك الحروق المؤلمة التي يشعر بها في جسمه ... وادرك انه سيموت ممزق الجسد ... سيموت كما مات -كيلا-

لم يعد الطفل موجوداً فلم يعد بعده أهمية لشيء!!... واغمض عينيه! لم يستطع -كيلا- ان يتنفس فقد تمزق جسمه فوق احدى الصخور المدببه ويده تتعلق برأس الصخرة ... انه ليس ميتاً ... او انه لم يمت بعد.

لكن يده لم تعد تقوى على الصمود وسينزلق تدريجياً والدماء الساخنة تسيل على طول ذراعه وتلتصق بقميصه ...

كان كيلا ينظر الى السماء كي لا يبصر الهوة تحته والماء المتلاطم والصخور المدببة وتذكر ان كتلة سمراء قد سقطت قبل قليل امام اقدامه فشلت حركته وغدت ساقاه لا تقويان على الحركة ففقدت يده الطليقه كل اثر للحياة واحيط جسمه بقشرة لا حس فيها وبقيت اطراف اصابعه تمسك برأس الصخرة بشكل ضعيف جداً وتقلصت يده للمرة الأخيرة ثم .... أفلتت

لم تند عنة اية صيحة فقد تلاشى صراخه مع اندفاعه نحو الارض وفتح عينيه فوجد انه لم يسقط ... كان جسمه ممداً افقياً معلقاً فوق مجري النهر تربطه حبال مطاطية القوام ... وسقطت الكتلة لسمراء الى جانبه من جديد دارت دورة وصعدت نحو الأعلى وهي تنسج خيوطاً تقصر بالتدريج فترفع الجسم الصغير الى الاعلى ...

كانت هي العنكبوت - العنكبوت العملاقة ترفعه شيئاً فشيئاً نحو القمة حتى بلغها واخذ يتدحرج على الارض الى جانب جسم جده العجوز الدامي ... عندها فقط استطاع ان يتنهد ... فلم يعد هناك فراشات فوق الهضبة -صاح -سيليان-

- لقد فزعوا منها ...

كانت العنكبوت تركز فوقهما عينيها السمراوين دون ان تتحرك وتنظر الى -سيليان- وهو ينهض بصعوبة لا يستطيع ان يستوعب كل ما حدث. واخذ يسحب خيوط العنكبوت التي التفت حول جسم الصبي بيدين ضعيفتين ... فلم يستطع معها شيئاً مما اضطره ان يستل سيفه ويقطعها بهدوء بيدين خارت كل قواهما.

واستمرت العنكبوت تنظر اليهما دون ان تتحرك .. ولاحت ابتسامة على وجه -كيلا- فقد عادت اليه الحياة وتحرر جذعه وحقيبته من الخيوط ... فرفع الحقيبه بين يديه وقلبها على الارض فتدحرج التفاح منها.

بقيت العنكبوت -ساكنه لا تتحرك بعض الوقت ثم دنت بحذر والتقطت تفاحة ثم ابتعدت خطوات ووضعتها بعيداً وعادت لتنقل ثانية وثالثة حتى لم يبق منه شيء وابتسم -كيلا- من جديد ... وقال:

- اظن انها فعلت ما فعلت لتنقذ حقيبة التفاح ...

- قد يكون ذلك.

- قد يكون هذا او غيره فمن يدري. ورفع يده الجريحة فوق صدره وانحني وهو يقول:

- شكراً ايتها العنكبوت.

وتهيأ له انها رقصت رقصة مرحة بقوائمها المخملية قبل ان تلتقط تفاحة وتبدأ بأكلها عندها ... لم يتمالك -كيلا نفسه من تحيتها من جديد وهو يقول:

- شكراً أيتها العنكبوت.

* * *

الفصل الرابع عشر

وقال سيليان:

- يجب ان نرحل - علينا ان لا نبقى هنا ... كان من المستحيل عليه ان يرى الجروح في ظهره ومن الافضل ان لا يراها - فلا الزمان مناسب ولا المكان لكي يندب حظه ... ولم تكن لديه رغبة بذلك اذ ادهشه كثيراً بقاؤه على قيد الحياة. ومن الغريب الا تكون لسعادة عميقة ... كالألم - فمن المفروض ان يرتاح ويسر كثيراً لبقاء -كيلا- سالماً وعلى قيد الحياة وبصحة جيدة ... لكنه ... وبعد دقائق فقط - بدا له الأمرطبيعياً جداً

لقد كانا هناك -اثنان على الطريق ... وقبل ان ينتصف النهار زال كل اثر للسعادة في نفسه وعاوده الشك والقلق ... الى جانب الرعب ...

كان ظهره المجرح يسبب له ألماً شديداً وسار وقد ازداد انحناءً .... حتماً لقد هرم الآن أما كيلا فكان يسير بسرعة رغم جراحه، رغم الرعب، رغم سروره

بانه استطاع ان يعمل معروفاً لغير نفسه ... وانه كوفيء على هذا المعروف ...

نعم ... لقد هرم -سيليان- واخذ كل عمل يقتضي منه وقتاً اطول ... الهوة ... العنكبوت الفراشات -كيلا يموت- كيلا - لا يزال حياً ... كلها جروحه ويبقى في القلب جرح واحد لا يجد له تفسيراً. وقا ل-كيلا...

- انك لا تزال تنزف - يجب ان نتسوقف وان ترتاح حتى تشفى ... فلسنا على عجل من أمرنا الى هذا الحد. فرجال -الاولميد- قد احتلوا القصر وانتهى الامر..

- لا استطع ان انتظر !

- ولا تستطيع ان تقاتل ايضاً ...

- اقاتل ؟ اقاتل من ؟ هل اقاتل كل شعب الاولميد

- سواء كنت جريحاً ام لا ... فهذا لا يغير من الأمر شيئاً ... يجب ان لا اقاتل. وسارا زمناً طويلاً صامتين.

وارتفعت الشمس في كبد السماء .... سيكونان في هذا المساء او غداً في قلب الوادي وتفحص -كيلا - جروحه - فوجدها جروحاً سطحية تنتشر في عدة مواضع لا تنزف لكنها تسبب له ألماً ينتشر حتي كتفه

فيرتسم ذلك على وجهه بين الحين والحين ...

- انها ذراعي - اليمنى - وقد فقدت سيفي على كل حال ... ولاحظ -سيليان- عندها مدى بؤسهما واستكانتهما ..... متسخين ممزقي الثياب يضمدان جراحهما ... وقال بعد برهه:

- لا ادري ونحن على هذا الشكل ... من هو الذي سيخاف منا: قد نخيف الاطفال! ... انظر ... نحن ... امراء .... السيلم .. أصحاب العرش ومنقذو الانسانية ومحرروها ورفع عينيه نحو السماء ... ثم عاد من جديد ليحني ظهره من شدة الألم. وقال أخيراً:

- سوف نضحك من كل هذا ... في يوم ما ... ان بقيت اعرف كيف اضحك !!

ولم يجب -كيلا- فقد وجد عجوزه متألماً جداً ولم يدر ماذا يفعل ليعيد الى نفسه بعض الحياة ... فالإحباط رأي سيء جداً. ولكن ... الم ينجوا من اوضاع كانت شديدة القسوة؟ لا مبرر اذن لهذا اليأس المتنامي وقال له:

- سيعود القصر لنا من جديد - وعلينا ان ننقذ من بقي من رجال -السيلم- قبل حلول فصل الشتاء

بسبب وادي الصقيع وان نحررهم من الساحر «فاتار»
وان نحرر الرجال ذوي العيون الزرق من نير
-الاولميد- ونعيد الحياة الطبيعية الى المملكة
وهز -سيليان- رأسه ... كان منهكاً جداً
وفاجأهم الليل في الوادي الرطب فلم يصادفا اي انسان
... وفي الاعلى ... كان القصر يرسل اضواءً خافتة
تتوقد فيه انوارٌ كانها اللهب - وتأكد -كيلا- انهم لا
يزالون اصحاب القصر رغم رجود رجال -الاولميد- فيه
-وأحس ان تلك الاحجار القديمة في القصر تبعث
امواجاً من الدفء تحيط بهم وتحميهم وسيحمل القصر
والى الابد - رمز رجال -السيلم- فهو يستطيع
التعرف على اصحابه وبينهم من الروابط ما لا يمكن
فصمه.

وتلفت -كيلا- حوله ... كان كل شيء عارياً
ومظلماً ... تبرز نتوءات الاحجار في بعض المواضع
فوق المنحدر مقابلهما تماماً وتنهد وهو يقول:
- لا نستطيع ان نصعد للاعلى والا نبدو للعيان.
وقال -سيليان- بصوت منخفض
- كانت الاشجار تغطي سابقاً هذا المنحدر الكبير

- لكنهم قطعوها جميعاً او أحرقوها.... قديماً ... كان السلام ينبع من هذا القصر لكنه غدا اليوم شبحاً فوق قمة جرداء ... وتابع كيلا ....

- كيف يمكننا ان نرتقيه دون ان يرانا احد - يبدو هذا مستحيلاً

ومع ذلك لا يمكننا البقاء هنا فسينكشف وجودنا عندما تلوح اول حزمة من ضياء الفجر وراحت -عينا سيليان- تجوسان في ذلك الليل وقد اضاءه بدر السماء فأعاد لذاكرته مرح طفولته وصاح:

- المغارة -يا كيلا- المغارة - في اسفل قمة الجبل

- مغارة لا يعرفها الا أفراد أسرتنا ... يجب ان نصل اليها ... وفيها نفكر ....

وعلى بعد عدة امتار كان سطح النهر يتألق وادعاً وتذكر -سيليان ....

- كان هناك جسر فوق النهر ... وسارا على ضفة النهر يحتميان بالأدغال كانهما شبحان خفيان في حنايا الليل. فلم ينبسا ببنت شفه وعندما توقف -سيليان- اصطدم -كيلا- بظهره فندت عنه صيحة كتيمة وغص بالألم دون ان يجرؤ على فتح فمه ...

عندها شاهد -كيلا - الجسر وقد وقف رجلان أمامه: لم تعد الرجال ترعبه وهمس له كيلا

- ماذا لو أعطيا انذاراً لاصحاب القصر...؟

وتابع الرجلان سيرهما في ذلك الصمت الكبير .. فأخذت الرطوبة تتغلغل في ثيابهما لتجعلهما يرتجفان رغماًعنهما وغمغم -سيليان-

- النهر هادىء وقليل العمق ... هيا نعبره

كان كيلا لا يحب البلل لكنه لم يقل شيئاً وخاضا النهر بعد ان ابتعدا عن الجسر، وسارا فيه بخطىً حذرة بطيئة يحاذران ان يحركا المياه التي تبرد ساقيهما... فكانت قدماهما تتوغلان في الطين المترسب في قاع النهر فيجران قدميهما بصعوبة كبرى وكان سيليان يصر على اسنانه من شدة المه فكيف تسبب له حركة ساقيه كل هذا الالم في ظهره؟ وشعر بوحده اعضائه الى حد كبير ...

وخرجا بصعوبة من النهر والماء يقطر منهما - وتبع -كيلا - سيليان فلم يفته ان يدرك كيف تغيرت مشيته ... فهو متألم جداً ولكن ... ما العمل؟!

ودار رجلاً -السيلم - حول سفح الجبل ببطء

ـديد من التعب اولاً وخشية احداث اي صوت ثانياً
ذت ادغال السفح كثيفة وشائكة ... لكن -الراحلين لم
يعودا يشعران بشيء يفكران ان الآلهة قد ارسلت البدر
هذه الليلة لينير لهم الطريق ... واجتازا الوادي
العميق وبعده غدت الدرب صاعدة بشكل عمودي نحو
القمة - فوقهما تماماً ... فقد شاهدا امتدادها يغيب في
ـج مرتفع تسمو قمته نحو السماء. وامسك سيليان
ذراع رفيقه مشيراً وتابع -كيلا- بصره الى حيث يشير
يده فرأى فتحة تثقب خاصرة الجبل - وبوابة معدنية
ـئت فيها مسامير ضخمة ... لم يتكلما بشيء ... فخلف
هذا الباب ستة ابواب اخرى تخفي وراءها كنزاً
ـطورياً وبقي -كيلا- برهة شارداً يفكر بتلك الثروة
التي ترتكب من أجلها الكثير من الحماقات ... اما هو
فلا تغريه الثروة اطلاقاً ولا يطمع بها ... ولحق بجده
العجوز وقد عاود السير.

كان سيليان يعرف صخور -كورك- وصخرة -سيرين- انها أمامهم تماماً وكانها وكر الثعلب. وركع على ركبتيه امام الصخرة الكبيرة وراحت اصابعه المتجمدة تتلمس خاصرة الجبل. وقال -كيلا-

- ارى هنا فتحة

- كيف هي ؟!

- انها ليست كبيرة تكاد تسمح لجسم بشري نحيل بالدخول فيها .

وتحسس سيليان حوافي الفتحة وقال

- انها هي ... هيا اتبعني يا كيلا

وانزلق الاثنان في الممر الضيق يصران على اسنانهما ليكتما صيحات الالم من احتكاك جراحهما بالصخور . كان جو المغارة معتماً وخانقاً عندما يقفان تلامس جسميهما جدرانها والليل شديد الحلك . وبقيا فترة راكعين ينتظران ان تألف عيناهما الظلمة ..... لكن الليل كان دامساً رغم شعاع ضئيل من الضوءينفذ عن ثقب فوق رأسيهما - وغلبهما النعاس فراحا يغطان في نوم عميق جاثمين على الارض بشكل يتمكن فيه كل واحد منها ان يداري فيه جراحه.

عندما اضاءت شمس اليوم التالي المغارة المستديرة نشرت فيها نوراً خفيفاً لكنه كان كافياً لان يراهما !!!

وظن -كيلا - نفسه تحت تأثير كابوس مزعج

دلس دون ان يتحرك كتف جده بيده السليمه وساد صمت طويل .... فعلى عدة خطوات منهما وفي وسط المغارة الصغيرة رقد هيكلان عظميان اقترب -سيليان - منهما ببطء فهو لا يخشى الاموات - الاحياء فقط هي التي تسبب الرعب وقال

- انهما هنا منذ زمن طويل ....

- من هما يا ترى!

- وكيف لنا ان نعرف

- قلت يا معلمي ان أسرتكم فقط هي التي تعرف هذه المغارة!!

وأكد سيليان ذلك بعد فترة صمت وقال:

- هذا صحيح - واخذ يتأمل باهتمام الوجهين الغائرين وشكل جسميهما ...

- كيف يمكن ان يعرف ... واخذت عيناه تجوسان على عظام الذراع البيضاء ثم انتقلت الى الجذع فالقدمين وقال فجأ:

- انظر يا كيلا - هذه الجثة فيها ساق اطول من الاخرى ... وصمت قليلاً واضاف:

- انه اخي -ميريان- فله منذ ولادته ساق اطول

من الاخرى ...

- اذن فهو أحد اخوتك .... قد يكون ذلك وأقول قد .....

- انه -ميريان- صاحب المفتاح الخامس.

- نعم - لكن لا شيء يؤكد هذا ... وكيف كان اخوك صاحب المفتاح السادس

- انه اخي -اوفرا- كان سميناً مكرشاً - ولا يظهر هذا على هيكله العظمي.

واخذ سيليان يفحص الجمجمة المستديرة والفك العلوي ... لا .. انه لا يستطع القول.

وومضت في ذهنه فكرة كالضوء ... كان لاخيه سلامية مقطوعة اذ هوى عليها فأس بشكل مؤلم فقطعها. واخذت عيناه تطوفان على ذراع الهيكل الثاني على يده واصابعه ...

وبالفعل كانت هناك سلامية ناقصة في اصبع الخنصر وصاح ... يا إلهي:

واخذت صور الذكريات تتراقص في مخيلته فاعضاء أسرته وحدهم الذين يعرفون هذه المغارة فبعد ان مات -ميريان واورفا- لم يبق من أسرته سوى

ألغونت- الغونت هو الذي وضعهما هنا وهو من قتلهما - قتلهما من اجل الكنز - قتلهما من اجل مفتاحيهما -هكذا اذن يا الغونت ! واخذ يتمتم:

- ان جميع المفاتيح الآن بالقصر ... لكنه لا يستفيد شيئاً طالما لم يحصل على مفتاحي الباب الرابع والسابع ......

لكن هذا يخدم رجال الاولميد فقط ... فهم يملكون الآن جميع المفاتيح - لا ينقصهم سوى مفتاحي انا ... مفتاح الباب السابع ... وردد بصوت كالصدى ... مفتاح الباب السابع

وتراقصت الاضواء امام عينيه وترنح وهوى الى الامام فاقد الوعي...

وعندما عاد الي وعيه كان اول ما لاحظه ذلك القلق الكبير المرتسم على وجه -كيلا-

- ان جراحك تنفر يا معلمي - يجب ان نفعل شيئاً .

- ما هو هذا الشيىء...

- والا فإنك ستموت ...

كان العجوز - شاحباً جداً غارت ملامحه وجمدت

عيناه وتعلقت في شعاع الضوء النازل من أعلى المغارة
وحرك شفتيه قائلاً:

- انظر - هناك ...

ورأى كيلا من الثقب الذي يشع منه الضوء شاهد في اعلى الجبل ساحة بني فيها طلل خرب ... وغمغم سيليان:

- انه هودول ... هودول هناك.

- هودول ... نعم - انه هو ... ابق أنت هنا وسأذهب اليه حالاً ...

- لا يا كيلا ... انتظر حتى يحل الظلام...

واغمض سيليان عينيه برهة:

قد يستطيع -هودول- ان ينقذه .

* * *

الفصل الخامس عشر

- ها انت اخيراً يا فاتار - لم استطع ان اراك أمس - هل سارت الامور على ما يرام؟

ونهض رجل -الاولميد - الكبير ... كان يتكيء بيديه على عرش نحاسي وخشبي هو عرش امراء السيلم - يعلو بقامته المديدة على جميع افراد حاشيته. وارتسمت على شفتيه ابتسامه كشفت عن صفين من الاسنان وقد رصفت رصفاً رائعاً. ودس يده تحت حزام مطرز ويشدّ على وسطه صداراً قصيراً من البروكار تبدو منه عضلات وركه القوية ...

كان يعتد كثيراً بضخامة مظهره وقوة جسمه يقنع بذلك العالم انه السيد الحقيقي هنا ....

وانحنى -فاتار- أمامه:

- لقد تم كل شيء على ما يرام ... فلقد ارجعت بقية شعبكم كله وازدادت ابتسامة رجل الاولميد - هكذا انتهى كل شيء ... وذلك المسكين -آلغونت- وقد بدد قواه في البحث عن كنز لم ينجح في الحصول عليه ...

اما هو -رجل الاولميد- فلم يكن مغفلاً ... فحتى لو كان الذهب هاماً فان القوة وحدها هي التي يحسب حسابها !! - يكفي ان ترفع يدك لترهبك ابعد الشعوب ... ومن رنين صوتك. يميل الناس الى الركوع امامك. وقال ببطء شديد:

- اذن لقد غدا كل شيء على ما يرام ... وعثر ذلك العرق الضعيف على مكانه في العبودية ومع تلك القبائل الهجينة من عرق السيلم - الآخذة بالانقراض ... ورجال التوبيك المضحكون وهم يسيرون في طريق الفناء ...

سيزدهر العالم بذلك والعرق النقي عرق -الاولميد- الوحيد.

- وسنسير حتماً يا سيدي في طريق المجد ...

- لو كان ...

وغاصت الابتسامة شيئاً فشيئاً من وجه رجل الاولميد ...

- لو كان ماذا ؟

واقترب -فاتار- من سيده بود وادنى منه أنفاً كأنف الصقر - وهمهم:

- لقد ظهر -سيليان- وبرقت عينا رجل الاولميد وارتجفت العضلات القوية في جسمه واضطرب وجهه المنمق:

- اين هو؟

- هو قريب من هنا حتماً ...

- لماذا لم توقفه يا -فاتار- يجب الا تدعه يقترب من هنا !!

- لن يبقى طويلاً فهو جريح لا يشكل اي خطر - اذ كيف يستطيع ان يصل الى هنا ... - نعم - انه جريح - عندما عرفت انه -سيليان- حاولت ان اقبض عليه عندما كان عند -التوبيك- وارسلت مقاتلين الى السهل لكي يتمكنوا من رؤيتهما

- رؤيتهما؟.

- ان سيليان يترحل مع خادم صغير له - وقد حددت مراكز لارواح الشر على الطريق المؤدية الى هنا فقادتهما نحو الهوة حيث قاتلتهما الفراشات وجرحتهما ... اذ عادت والدماء على اجنحتها وانتظر خمسة من فرساننا سقوطهما بالقرب من النهر لكن لا ادري ماذا حدث لهما فهما لم يسقطا في النهر.

- يجب ان نعثر عليهما ... كم يبلغ خادمه من العمر ... ومن يشابه؟

- انه حتماً من رجال -السيلم- ويبلغ الثالثة او الرابعة عشر من عمره

- ثلاثة عشر ... انا متأكد انه حفيد -سيليان- ذلك الطفل الذي لم نعثر عليه ومر فاتار بيده فوق لحية سيئة الحلاقة!!

- انه هو حتماً فالشبه واضح بينهما ...

- يجب ان تعثروا عليهما - يجب الا يموت -سيليان- في احد الاركان فهو يملك مفتاح الباب السابع ... ثم تابع ...

- اعطِ اوامرك بالبحث عنهما في كل انحاء البلاد

- اذع اوصافهما - هل يجب ان احضرهما وهما على قيد الحياة؟

- لا يهم - المهم فقط هو المفتاح - يجب ان نحصل عليه وهذا كل شيء الا اذا كانا قرب القصر

- لا نخشى منهما شيئاً فهما عجوز جريح وصبي كذلك ! لن يتمكنا من الدخول الى القصر باي شكل من الاشكال.

- هذا صحيح - وحاول رجل الاوليد ان يستعيد
بهه الرخامي - فهو قوي، وقادر لا يستطيع أحد ان
قتله - قوي وقادر لا يمكن ان يجرح ... وكانت عيون
جند حوله مستقرة عليه وقال:

- ان -سيليان- ذلك الظربان - القذر الذي لا
يبحث الا عن الاذى .... انت وحدك يا سيدي القادر على
نزال الجسر ... ولا يوجد اي مدخل غيره ...

وتحرك رجل الاوليد بخيلاء - وانفرجت شفتاه
عن ابتسامة سخرية من فاتار- المسكين الذي كان يظن
انه يزرع الطمأنينة في قلبه وهو سيد هذا الكون -
لكنه لم يستطع ...

وجالت في فكره خواطر مقلقة كثيرة - يجب عليه
ان يحصل على المفتاح ... لكن هل يستطيع ان يجابه
سيليان- وقال لفاتار- فجأة:

- اعط اوامرك بقتل الاثنين حال رؤيتهما ...

- كن مطمئناً يا سيدي - فلن يريا آخر هذا
النهار!!

* * *

اخرج -كيلا- رأسه من فتحة المغارة ... لقد طال

انتظاره وهو متمدد في الممر الضيق المفضي الى المغارة لكنه لا يرى شيئاً من هذا المكان بسبب الصخرة الكبيرة التي تخفيه عن الاعين.

كان يشعر فقط بمرور الناس من خلف الصخرة ... هم يبحثون عنا طبعاً ... وسمع دقات قلبه تكاد تدوي في رأسه مئات المرات ... ولكن لحسن الحظ فان مدخل المغاره يشبه بيت الذئب ويختفي تماماً خلف صخرة -سيرين- لذلك لم يتمكن أحد من رؤيته.

اما -سيليان- فكان على اسوأ حال فقد شارف على الهلاك واضطر -كيلا- احياناً ان يضع يده على فمه ليكتم صراخه ....

حل الليل الآن ... ولم يرَ احداً من الجند يمر في الطريق منذ اكثر من ساعة ... فقرر ان ينطلق الآن قبل ان يسدل الليل ستوره كلها ... فهو لا يعرف الطريق تماماً والغيوم التي كانت تمر سراعاً في السماء كانت تحجب احياناً ضوء القمر...

- لا حس ... لا حراك .... كل شيء هادىء تماماً - لا أحد في الطريق .... واندفع -كيلا- خارجاً من المغاره ويده لا تزال تؤلمه لكنه لا يفكر بها الآن.

كان ينظر الى بيت -هودول- يجثم على خاصرة الجبل - وحسب ما اوصاه -سيليان- عليه ان يقصده من جهة الشرق - ولا يوجد الا درب صغير ضيق - ومن الضروري جداً ان يبلغ هذه الطريق قبل ان يشتد الظلام وراح يعدو وقد احنى ظهره حاملاً يده الجريحة مثنية فوق بطنه وقد ترك معطفه في المغارة كي يكون أكثر حرية في حركته وانطلق تداعب الريح شعره الاشقر الجميل ...

أشعل -هودول- مصباحه الزيتي وأحس انه غدا منهكاً هرماً ... وقد تناثر فوق رأسه شعر رمادي خفيف مع طول الايام ... انه يعيش منذ زمن بعيد على هامش العالم وظن انه نأى بذلك عن المعارك التي تمزق الانسان بشكل دائم ... ولكنه ... لم يخطر له على بال ان حب السلطة يمكن ان يأخذ كل هذه الأبعاد ... واخذ يفكر

كان -آلغونت- مقاتلاً بلا رحمه - وهناك الكثير من امثاله ... اما رجال -الاوليد- انفسسهم فقد بدلوا قوانين الحروب - وتلك جريمة -فاتار- اذ كان عليه الا يستخدم سحره لصالح العائلة المالكة - فماذا ينتظر

منها؟ وماذا سيستفيد من ذلك؟ وبدا له اليوم ان استئثارهم بالحكم كان الشرط الوحيد لممارسة قدراتهم -وفاتار يحتاج الى انتزاع اعجاب الآخرين به -والسحر الابيض لا طعم له فهو يحب السحر الأسود. فهو الذي يستهويه فقط ففيه دائماً صور أروع وأكثر تجدداً .... لكن ... هل يدرك انه بهذا لم يخدم الا سلطات دنيا وان لم يكن اكثر من بيدق بيد السلطة ... تماماً مثل الآخرين!!

اما الآن - وقد هزم رجال -السيلم- وتردى ذوو العيون الزرق الى عبيد فهذا يكفي ان يقنع رجل الاوليد الكبير بانه متميز فعلاً ويصدق الناس انهم من الشعوب النخبة ... ولكنه ... الآن وهو يفكر بكل هذا ... يستولي عليه اليأس وهو في عش النسر هنا حيث يأوي ... فهو آخر رجل من -السيلم- في هذه البلاد ...

وسمع صوتاً في الخارج ... وسدد نحو الباب نظرة استغراب ...

- ها هو الباب يقرع ....

وفتح الباب ... وبدا منه شاب ... شاب من السيلم شديد الشحوب دخل وهو يقول:

- كدت اهوي من حافة الكورنيش ...

وامسك -هودول- الصبي ، قبل ان يرتمي على الارض وقد التصق شعره بصدغيه بشيء من الدماء يحمل ذراعه مثنية فوق صدره ...

كان مضطرباً ... يحاول النطق ولا يستطيع ...

وتأوه -كيلا- بعد قليل وقال:

- انا .... انا .... اسمي -كيلا- انا حفيد -سيليان-

ان سيليان جريح ... وسيموت قريباً ان لم يعالج جيدا ... واخذ كيلا يتأمل ملامح العجوز ... فبدا له هرماً جداً سالت على وجهه السنون ضعيفاً هزيلاً - حرك شفتيه ولم تصدر عنه كلمة ... وغمغم -هودول- اخيراً ...

- سيليان ؟!... كنت اظنه قد مات. فهو لم يظهر منذ زمن بعيد ... يا للزمن ... ها هو الشاب سيليان يغدو جداً لرجل شاب ايضاً ..

وقال اخيراً بصوت متهدج ...

- كل شيئاً يا صغيري ... سأعد لك ما يلزم ...

- لا وقت لدي للطعام ..

- كل ... فانت بحاجة لان تهدأ أولاً ... وإلا فلن تصيب خيراً ...

- ان جراحه تتقيح ....

- لا يموت المرء بسرعة - وسينقذه الدواء الذي سأعطيكه رغم وضعه السيء.

كان هودول - يتكلم بمنتهى الهدوء حتى ان كيلا اخذ يسيطر على نفسه شيئاً فشيئاً ويتعرف على ما حوله ...

لم يكن -هودول- عجوزاً جداً بالنسبة لكونه احد رجال -السيلم- لكنه تكوم بفعل الزمن - فقد أحنى ظهره فوق كتب السحر المعتمة فأرهق عينيه فك طلاسمها.

وصار يحتاج الى تضييق حدقتيه كي يبصر جيداً ويزعجه حتى نور سراج الزيت الخفيف ... ان هذا العجوز ... هو كل أمله في الوقت الحاضر ...

لقد استولى عليه الرعب وهو قادم اليه وجرح فوق الصخور وأحس بالدوار فسقط فوق المنحدر ... لذلك أخذ يتحدث -لهودول كيفما اتفق ... عن الفراشات - عن ارواح الشر - عن الهياكل العظمية

في المغارة ... وقال هودول.

- أو... انا ... فـأرى .... أيائل غـابات العـاج الكبيرة! تنتظر على الجانب الآخر من الجبل.

لم يدرك -كـيـلا- مـعنى هذا الكلام فـراح يرقب الساحر دون ان يتفوه بحرف.

وراح الساحر يحز باظلافه الطويلة المدببة فوق خشب المنضدة المتشقق وتابع:

- انها ستعود مع السلام ... وأظنها تستشعره الآن

وهز -كيلا - رأسه بأسى ... ماذا يمكننا أن نفعل ونحن اثنان فقط ....

ورجال -الاولميد- بالالاف يتحكمون بقوة حصون القصر .. ولكن ... الست سيد السحرة هنا ... انت قادر اذن على ...

- لا يمكنني ان افعل شيئاً فلقد كشفت علم السحر لكنني منحت قوته لصاحب القصر فقط ... ولا يمكن ان استعيد ابداً ما اعطيت......

- اذن ... فقد ضاع رجال السيلم ... الا يمكنك ان ترد فقط على ما يقوم به -فاتار.... فتجعل شعبنا قادراً من جديد على ولادة البنات.

- لا استطيع ذلك طالما فاتار على قيد الحياة - لكنه لو مات قبلي فسيفقد سحره وكل قوته واستطيع ابطاله. وقال كيلا بصوت مرتفع وكانه يصرخ:

- لكن ... يجب ان نفعل شيئاً ... وقال هودول:

- نعم - انت على حق ... ولكن مـا هو هذا الذي يجب ؟ صدقني لقد فكرت ملياً وامسك جبينه بيده وراح يجلس الى المنضدة قبالة -كيلا- وفكر:

- لقد ترك العالم يسير نحو نهايته منذ زمن بعيد، فكيف يستطيع ان يصلحه اليوم؟ ثم قال بصوت مرتفع:

- لقد دخل الآن عنصر جديد!!

- ما هو هذا العنصر ؟

- سيليان وانت ... لقد استعرضت كافة الحلول - وكنت أجهل وجودكما - أما الآن فهناك معطيات جديدة وقد تغيرت بعض الأمور ....

- هناك -المفتاح - وانا - وسيليان !

- لا جدوى للمفتاح الآن - فلا اهمية له بالنسبة لمن يحكم ولا قوة له طالما ان صاحب المفتاح الرابع على قيد الحياة ...

- اذن - علينا ان نقتل رجل الاولميد الكبير

- انه محاط دائماً برجال حراسة اشداء - حتى لو استطعتم دخول القصر ... وبدا التفكير على هودول وراح ينقر على خشب المنضدة بأضافر سبابته....

وتذكر اخيراً ان الصبي لازال هنا فقال :

- خذ هذا المرهم وعد سريعاً الى سيليان وسأعود لنا للتفكير ... فأنا اعرف ان رجال -السيلم- هم حالياً في وادي الصقيع ... ولو فاجأهم الشتاء هناك ... هيا انطلق ... اذهب بسرعة ... وتأمل -هودول- الصبي وهو يغيب في الظلام ..

هكذا ... اذن .... ان شارات السماء لم تخدعه ... لقد كان محقاً عندما حدث -نيل- عن هذا الصبي ... ها هو لم يخطىء والصبي لا يزال حياً ... ولكن -نيل- أين هي -نيل- الآن ؟!

* * *

أضرم الرجلان ناراً كبيرة يدفئنا بها ذلك الليل القارس وقد اخترق البرد فيه معاطفهما الصوفية ... لقد غادرت الحياة قلب الوادي وغادرتهم الحياة ايضاً ...

انهما الرجلان الأخيران من عرق -السيلم-
وبحركة آليه اخذ الرجلان يجمعان قطع الحطب
ويضعانها فوق النار لانعاشها.

وامام نار خفيفة وقفت امرأة شقراء الشعر امام
قدر يغلي فيه الطعام بهدوء.

ودنا منها طفل راح يتطاول على اطراف اصابعه
ليرى ما بالقدر من طعام - كان اشقر الشعر يشبه
-كيلا- يقرب عمره من ثماني سنوات... وتنهد وقال:

- لا يزال هناك بعض الجذور

وجلس ينتظر نضج الطعام بالقرب من فتاة
شقراء تبدو اكبر منه سناً وقال وهو يفكر:

- عندما سأغدو كبيراً لن اتناول مع زوجتي الا
طعاماً طيباً ...

والقت اخته عليه نظرة دهشة ... ومن الافضل الا
يدرك انه لن يكبر ابداً ... فالوادي سيطبق عليهم
بموجة من جليد.....

- كيف تحلم يا -سيبي- ان تتزوج وانت تعلم انه
في عرقنا - لا تلد النسوة أبداً وانا الأخيرة في
هذه القبيلة ولي الآن من العمر ثلاثة عشر عاماً ...

ورمى الصغير اخته بنظرة ماكرة وقال لها:

- سأتزوج امرأة من السهل - من ذوات العيون الزرق-

- لن ينقذ هذا شعبنا اذ لن يلد لأحد من رجالنا بناتاً ابداً حتى ولو تزوجوا من عرق آخر.

- لا بأس - فلا ارى حاجة لانقاذ العرق ... ولماذا تهتمين بهذا اذا لم يوجد عرق مثل عرقنا؟

- آه

- اجيبي يا -نيل- فقالت:

- عندما ينقرض عرق ما .... فالأمر قاسٍ بالنسبة لآخر المنقرضين ... وهؤلاء المنقرضون الاخيرون هم نحن يا «سيبي»

وبقي الولد شارداً يتراقص لهب النار في عينيه الرماديتين.

- لكنك يا -نيل- سوف تتزوجين- فالشباب في مثل سنك كثيرون ...

- آه

- اجيبي يا -نيل-

- لكني لا أحب احداً من هؤلاء الصبية وداعبت

بيدها اليمنى خصلات شعرها الذهبية التي تتدلى فوق جبينها ورفعت بها بعضاً من شعرها الجعد وتابعت وهي شاردة:

- اظن انه لن يتأخر اكثر من هذا .... وحدجت النار بعينين ساهمتين وهي تشد بذراعيها على ركبتيها المثنيتين.

والقى -سيبي- عليها نظرة استغراب وقال :

- من هو؟....

- انه الشاب الآخر .....

- من هو هذا الآخر .... اجيبي بوضوح ... فانت ترعجيني ...

- لا اعرفه حتي الآن - لكن -هودول- حدثني عنه - وانا اثق به .... لابد انه في مكان ما ....

- هل هو -هودول-؟

- لا انه ليس -هودول- انه الشاب الذي سأحبه ويحبني ...

- ليس هو من السيلم اذن !!!

- بلى انه من السيلم

- ان شباب -السيلم- جميعاً هنا وانت ترينهم!

- ليسوا هنا جميعاً ... ورفعت -نيل- بصرها نحو السماء ... نحو النجوم ... واحست بغصة تكتم انفاسها ... يجب الا تصدق ان الشتاء سوف .... يجب ان يحدث شيء ما ..... واخذت تلعن في سرها كل -رجال الاوليد- تلك القطعان التي تقوم بحراسة الحدود - والدموع تترقرق في عينيها ...

* * *

كان النزول من الجبل - اشد خطراً من صعوده وتعثر -كيلا- عدة مرات وجرح ظهره برؤوس الصخور الحادة ... لكنه لم يفقد الأمل والمرهم في يده .... فهودول سوف يجد لهما مخرجاً ...... وقد يصل الى حل....

كان القمر يلوح حيناً من تحت الغيوم فيضيء جانباً من الوادي ثم يعود فيلتحف السحاب ليغرق كل شيء في الظلام.

كان -كيلا- لا يخشئ الليل ... فهو محسن يخفيه عن الابصار ...ويمشي ويمشي ....

كم هو بعيد ذلك الوادي... كل شيء يبدو بعيداً...

وتدحرجت حصاة فوق الصخور على طول المنحدر واحدثت صوت احتكاك جاف ...

ثم سمع صوت هدير قوي - هدير قوي - أزيز يعرفه -كيلا- جيداً ... واوقفه الرعب ... هل يركض ام يختبىء؟

تلفت باحثاً عن ملجأ ... لكن الظلام كان حالكاً ... ولو بقي هناك الى جانب الصخرة لعثر عليه الجنود ... لان فراشات الحراسة الملكية لا تدع فريستها بسهولة ...

كان يرى عيونها تبرق في الظلام .... وهي تتقدم محدثة صوت ازيز معدني يمتزج بصوت اخلاء الهواء .... لقد ضاع الصبي ...

وانضوى في اسفل بعض الصخور يسد اذنيه بيديه ... ففي الصباح سوف تتمكن الفراشات منه فلا يزال صوت أجنحتها الفولاذية يرن في اذنيه وهي تضرب الصخور والحجارة التي كانت تصطك تحت خراطيمها .... واحنى رأسه واغمض عينيه كي لا يرى ظلالها المرعبة تحيط به من كل جانب وهو يضغط بيده على زجاجة الدواء .....

سيموت هو هنا ... وسيموت هناك سيليان

وينتهي كل شيء....

لم ير - كيلا - البرق عندما لمع في السماء بل رأى فراشة ترتطم على الصخورفي اسفل قدميه وقصف الرعد واضاء البرق الجبل من جديد ورأى -كيلا- ان اجنحة الفراشة المعدنية ضربتها الصاعقة فحرقتها .... كاد يصيح من الفرح ويزأر في هذا الجبل ... ليت هذا حدث قبل عدة اشهر ... انها العاصفة وقد ارسلتها السماء لنجدته.

كان هودول - يقف على حافة الطريق يتأمل الوادي واجنحة الفراشات وهي تتطاير وتلتصق بالاحجار محدثة ضجيجاً لا يوصف بلغ مسامعه ... ورغم انه تدخل في الوقت المناسب والصبي لا يزال سليماً معافىً فهو يكره هذه الفراشات - وكان يكرهها دائماً - لانها تطيع طاعة عمياء ... سلطة لا تفهمها سلطة شريرة وتنفذ دون محاكمة او تفكير.

هي الآن التي تتلقى الضربات بعد ان كانت تقوم بالضرب موجهة من بعد !!!

لكن الآن - انه -هودول- هودول الذي اعطى الأوامر ....

وشعر العجوز بارتياح كبير ... فاليوم - وللمرة الاولى منذ زمن طويل - يقوم بعمل نافع حقاً ....

وها هو يخطو خطوة نحو إخوته .... نحو رجال -السيلم-

* * *

الفصل السادس عشر

لم يلق -كيلا- نظرة واحدة على الهيكلين العظميين في المغارة اذ وجده جده يلتهب بالحمى، منطفىء العينين حتى انه لم تند عنه أي شكاة عندما نزع عنه قميصه الذي التصق على جسده بالدماء وصديد الجراح وقال:

- علينا ان ننتظر الآن ... فالجنود يروحون ويغدون امام المغارة ... الانتظار ... الانتظار وقد يكتشفوا وجودهما في أية لحظة ... واقتربت الاصوات منهما ثلاث مرات حتى ان -كيلا- استل سيفه من غمده وانزلق قرب الفتحة ولو ادخل احد الجنود رأسه لقطعه له .... وتنهد فهو ليس متأكداً هل يقطع سيفه هذا الرأس؟

وهل لديه الشجاعة الكافية لذلك ؟!

ثم ان الجنود كثر فلو قتل واحداً منهم ..... فلن يجرؤ الآخرون على اقتحام المغارة .... لكنهم سوف يدخنونها .... كما يفعلون عادة عندما يريدون اخراج

الثعالب من اوكارها .... وفرك -كيلا- يديه.. يجب ان يفعل شيئاً ... ولكن .... ما هو ..... واين ؟ ... لقد عانوا مشاق درب طويلة لينتهوا الى مغارة لا مخرج منها ... فكيف الوصول الى القصر؟... وكيف الدخول اليه ورجال الاولميد في إثرهم ... رجلان فقط من السيلم ... بين رجال الاولميد ... كمن ارتدى ثوباً احمر في حقل مستور بالثلج ....

- هل انت هنا ؟!

- اخيراً - عدت الى وعيك يا معلمي .... هل تشعر بتحسن؟....

- كبير جداً ....

- حمداً للآلهة ... انه مرهم - هودول ... ياله من رجل كريم ...

- هودول - كريم ...!!

وعادت الحياة شيئاً فشيئاً الى عيني سيليان.....

- ان هودول لا يهتم الا بنفسه او بالاحرى بابحاثه.....

- سيقدم لنا المساعدة.

- هودول يساعدنا ... هل صدقت ذلك.

وهز كيلا رأسه واعترف لجده قائلاً:

- انا اثق به ... لقد طمأنني انك ستشفى وها انت تتحسن سريعاً

- ومع ذلك ... ان هودول - لا يتأثر بحياة أترابه أو موتهم ... واجابه كيلا

- قد يكون ذلك ... لكن الامورلم تعد كما كانت قبلاً

- هذا صحيح ... فكل شيء قد تغير ...

ووقف -كيلا- للمرة المئة ودارت عيناه فوق الهيكلين فقد باتا مألوفين لديه وكأنهما أخواه ... وقال فجأة:

- سيليان .... ولم ينتبه الى انه نادى جده باسمه

- كيف ادخل -الغونت- هذه الجثث الى هنا!

- من الفوهة

- لا لا يمكن ...

- انت على حق فكيف تدخل جثة -اورفا- الضخمة من هذه الفوهة الضيقه ... وصمت الاثنان ... لا بد ان هناك مدخل آخر ...

وغمغم سيليان:

- اعـرف ان تحت هذا الجـبل يـوجـد العـديد من الانفاق ... لكن سرها بقي مجهولاً منذ ايام -لوكران- فهل اكتشفها -آلفونت - يا ترى؟! وقال كيلا

- لقد تفحصت كامل المغارة فلم أجد شيئاً ..

- فكر جـيـداً يا كـيـلا الم تر غـيـر الارغر ولاصخور ؟...

- نعم - هناك مـسـمـار يا سيدي .... انه هنا وبامكانك ان تراه ...

- نعم لقد رأيته - عالجه بيدك يا كيلا ادفعه واسحبه ادره -اسحبه للاعلى والاسفل ... لم يكن ما أبصراه مسماراً بل كان وتداً معدنياً عندما سحبه كيلا احس انه حرك جهازاً ما وان الصخرة دارت حول نفسها وكشفت عن ممر شديد الحلك .

- هناك اصوات في الخارج ...

- وساعد -كيلا - جده على النهوض واعاد السيف الى غمده واخذ يرسل نظرات خاطفة نحو المدخل الذي يسمع منه الصوت. وسحب سيليان نحو الممر المفتوح واغلقت الصخرة خلفهم وتركتهم في ممر مظلم جداً تنتشر فيه حرارة رطبة ومؤذية وتمتم -كيلا-

- انا لا ارى شيئاً .. وشعر بجسم جده يرتمي على ذراعه شيئاً فشيئاً ... ولم يعد قادراً على اسناده فاجله ببطء على الارض وقد التمعت على جبين حبات كبيرة من العرق

- ماذا حدث لك يا معلمي ... ان جراحك قد تحسنت ... وراح يصغي الى تنفسه المتسارع وقال: سيليان

- لا تخف انها أزمة ستعدي سريعاً - فأنا اتنفس بشكل سيء وقد حدث لي هذا قبل الآن ... انه مرض القلب ... وهو أحد أمراض الأسرة ... وقد غدوت عجوزاً ....

حاول ان يبتسم لكن الصبي لن يراه على كل حال. وقال -كيلا بقلق:

- نحن نحتاج الى النور....

- يوجد في القصر مشاعل معلقة في الردهات ... فلا بد ان يكون مثلها في السراديب ابحث في الجدران . وصاح -كيلا

- لقد عثرت على واحدة ... اين حقيبتك ؟!

واخرج صوانتين منها وقدحهما بشدة وصاح ....

الضوء ...

نهض سيليان بصعوبة واتكأ على الجدرار الصخري...

- هل تعرف الى اين يؤدي هذا النفق: وشرح له سيليان مشيراً بيده:

- في هذا الجبل - يوجد سراديب عديدة ... نفق واحد يمكن ان ترى فوهته هو نفق الابواب السبعة ... يمكن رؤيته ... ولا يمكن عبوره ... وقال كيلا:

- لا ينقص سوى مفتاح واحد - الا يستطيع -الاوليد- ان يكسروا الباب الاخير.

- كلا - هذا غير ممكن - لو ان هذا ممكناً لكسر -آلغونت- كل الابواب التي قاومته ولم يعد هناك مبرر لوجود المفاتيح.

وساد صمت قصير قبل ان يتابع -سيليان- الحديث:

- كيلا ... انت حفيدي يا كيلا والقصر لك ....

وبرقت عينا الصبي دهشة واستغراباً وقال:

- انه لك يا سيدي. وهز سيليان رأسه وهو يبتسم ابتسامة شاحبة...

- لم أعد الا خيالاً .. فأنا عجوز ومريض ... اما
القصر ...

وشعر كيلا ... بيد العجوز المعقدة تناوله شيئاً
معدنياً دافئاً ... وتابع سيليان:

- هو اك يا كيلا ... انه مفتاح الباب السابع لقد
حملته طيلة الوقت معقوداً في شعري فوق مؤخرة
رأسي - يجب ان تربطه في هذا المكان وشعرك كثيف
لا يعثر عليه أحد

وشعر -كيلا- ... بالمفتاح قوياً رائعاً - ومن
الافضل ان يربطه في شعره. وعندما يكون المفتاح مع
-كيلا- فلن ينال أحدُ العجوز بسوء واخذ يحلم ... وقال
سيليان

- لا تفتح الباب السابع يا كيلا لا اريد لهذا الكنز
أن يوجد انه سبب هلاكنا جميعاً ... هيا بنا نمشي

كانت الظلال المتحركة تتراقص على الجدران
والرجلان يتنفسان بصعوبة ذلك الهواء القليل
والساخن وشعر كيلا بالمفتاح يهتز فوق مؤخره
رأسه....

كان طويلاً يهتز لدى كل حركة فيشعر كانه

سيسقط ... وصحح سيليان له وضع المفتاح وربطه بعقدة لا تفلت ابداً ... وقال -كيلا- بقلق:

- الى اين نمضي ... وليس لدينا اية خطة توصلنا الى حل مع الاولميد ولا ندري الى اين نتجه

- يجب ان نذكر ان رجال -السيلم هم في وادي الصقيع ونفكر بالعبيد ذوي العيون الزرق - علينا الا ندع المملكة بين يدي هؤلاء الأشرار.

وتنهد كيلا وهو يقول:

- اعرف هذا ... ولكن ما العمل وما نحن الا رجلين من العميان في بلاد مجهولة ....

- سنقتل رجل الاولميد اذا اقتضى الأمر ...

وشعرا بشييء ما ... رفع -كيلا- المصباح كي يريا جيداً فشاهدا قاعة كبيرةالارتفاع لا يظهر سقفها -تلمع الرطوبة فوق جدرانها وسمعا قطرات من الماء تقطر ثابته ومنتظمة ولا حظا ان الارض قد غرست صواعد قصيرة صفراء اللون ...

شعر كيلا بدوار في رأسه - واضطربت نظراته وبدون وعي وضع احدى ركبتيه على الارض ... كان رأسه يدوي وخيل اليه انه يسمع بعض الجمل وهي

ـخترق صدغيه ... وتميزت الاصوات وبدأ يفهم رغم ضطراب فكره وسمع من يقول:

- المفتاح - مفتاحك - سوف اضع فيه القوة ... قدرة تفوق كل المفاتيح ... سأجعل منك سيد سحرة هذا لقصر ... المفتاح ... لو اخترت طريق القوة المطلقة!!

وبدا على وجه سيليان قلق متعاظم وسأل كيلا:

- ماذا تقول ... ماذا تقول يا كيلا ... وارتعش كيلا كمن اصابه نوبة عصبية

- نعم لقد قلت كلاماً ... لكنني لست الذي تكلم - ما كان شخص أخر ... وتجعد جبين -سيليان- وكتم صيحة عجب وقال:

- انه - هودول ... انا واثق من ذلك ... يجب .... وضغط بيديه على اذنيه واغمض عينيه وبقي ساكناً لعدة دقائق قبل ان يتابع:

- لم اعد اسمع شيئاً رغم ان الرسالة لم تنته بعد! يا للمياه اللعينة ...

ماذا اراد ان يقول لنا يا -سيليان-

-يقول ان قدرة مفتاحنا قد تضاعفت عشرات المرات ولكن ..

- ماذا سيحدث لو استخدمنا قوة المفتاح ...
وأمسك كيلا جبينه بيديه وقال:
- لا بد ان هناك محاذير في استعماله .. لكن ما هي؟ قال:
- ان هذا رهيب ... فقد قابلت هودول - ولن يسبب لنا اي ضرر.
- ارجو ان تكون على صواب.
وبقيا ساكنين على ضوء المصباح المنتشر دون ان يفكرا بمتابعة السير ... وماذا عليهما ان يعملا الآن؟
- كانت الافكار تنتظم في ذهنيهما بصعوبة كبرى وقال -سيليان- أخيراً
- علينا ان نختار طريقاً من هذين النفقين
وقربا المصباح ليشاهدا المكان كان الممران متشابهين غير ان أحدهما كان يصعد قليلاً ففضلا أن يسلكاه فهما على هذا الطريق سيدنوان من القصر..
كان الممر يصعد دائماً بانحناءة خفيفة ... وبدا لهم منعطف في نهايته ... وكيف لهم ان يعرفوا هذا؟ وتوقفا ... لا ينطقان بحرف ... وقد أنار ضوء خفيف الاحجار هناك...

واطفأ -سيليان - المصباح وراحا يتقدمان بخطوات سريعة تصطك ارجلهم المتعبة لكثرة ما تقلصت عظلاتها ... وشاهدا هناك شقاً في الصخر فالصقا وجهيهما به راغبين في رؤية ما وراءه ...

وهناك على البعد ! شاهدا جبال الشمال ... وصاح سيليان

- الثلج -الثلج- يا كيلا يتهاطل في الاعالي ... هل تدرك معنى هذا ؟!

الثلج يهطل فوق الجبال المرتفعة ... فوق وادي الصقيع ...

كان وجه -سيليان - شديد الاضطراب - اذن فمن اجل ذلك ارسل -هودول - رسالته الامر مستعجل ... الامر مستعجل اذن - ان أهلنا في خطر......

وقال كيلا ... ماذا سنفعل بعد ذلك ...

- لا بد ان نضع المفتاح .... مهما تكن الاخطار ... ان وضعه يجعل منا سادة الدفاع عن القصر ... لكن ماذا نستطيع ان نفعل؟....

سيصاب رجال الاوليد بالذعر .... تنفتح البوابات وتغلق ... دون ان يكون لهم يد في ذلك ...

عندها يدركون انهم لا يستطيعون فتح اي باب ويستولي عليهم الرعب فيفرون حالما نصل اليهم ...

- عندها ... ماذا سيحدث ... ما هي المحاذير في قوة مفتاحنا ...

- لا خيار لنا ... يجب ان يغادر ... الاوليد ليعود اهلنا ......

وسارا طويلاً والهواء يتناقص باستمرار مما اقتضى تغيير المصابيح ...

وغدا سيليان بوضع صحي سيء واحس ان رئتيه تختنقان ... كان تنفسه قصيراً متقطعاً وساقاه ثقيلتين وكاد يقترح ان يتوقفا عندها أصغى -كيلا- بانتباه وفي فترة وجيزة انتعش ضوء المصباح قليلاً فرسم انعكاسات على احجار الجدران قبل ان ينير الطريق من جديد .... ولكن ... لم يعد هناك من طريق ... واخذ الرجلان يتأملان ذلك الجدار الصخري الذي قطع طريقهما وخلال ثوان قليلة خطرت لهما الف فكرة وفكرة ... هل هذا ممكن ... هل ينتهي ذلك الطريق الذي يسلكاه منذ وقت طويل بهذا الشكل دون ان يحدس أحد ذلك!!

واخيراً ... اين الممرات الاخرى ... وكم عدد الممرات التي تنتهي بهذا الشكل لا بد انه شرك وقعا فيه ... ولكن اين الممر الحقيقي ...

وتأكد الرجلان بوجل شديد انهما لم يعودا قادرين على العودة الى المكان الذي عبرا منه الى هذه المتاهة... ودوت في اذنيهما كلمة – سجناء ... وخطرت فكرة في ذهن سيليان:

كان الجدار الذي خرجا منه من المغارة الى النفق يشابه تماماً هذا الجدار....

وعاد الامل اليه من جديد. فليس هذا الجدار سداً وانما نهاية الممر.

–المس يا كيلا هذا الجدار تراه أبرد من الجدران الاخرى ... فخلفه الهواء الطبيعي على ما يبدو – انه الهواء الخارجي او هواء غرفة غير مدفئة من القصر

ومر كيلا بيده على الجدار ... لو كان لهذا الجدار من مخرج فيجب ان يتوصل اليه واحس بالالم يعتصر قلبه عندما جرح راحة يده على حافة صخرة حادة وحمل يده الجريحة الى فمه يضغط بشفتيه على الجرح الرطب

... ما اكره طعم الدماء ... وراح سيليان يتفقد بهدوء ذلك الوتد المعدني ... هو نفسه وتد المغارة وضغط -كيلا- بيده الجريحة ليوقف نزف دمها على اصابعه لزجاً سيء الطعم.

وقال .... حسناً! الامور تجري على ....

- انتبه -يا كيلا- ... سأحاول ان افتح ... استعد للهرب.

وتمدد على الجدار من جهة اليمين ووقف -كيلا- قبالته من جهة اليسار.... وكتما انفاسهما وشدا بطنيهما الى الخلف كما لو يحاولان شغل اقل حيز ممكن .

وشد سيليان وتد الحديد ... سمع صرير ! ودار الجدار حول محوره ... تماماً كما حدث في المغارة .... بقيا مشدوهين لعدة دقائق ... فقد بدا الجدار الصخري امامهما وقد علقت فيه المشاعل وثبت الجدار لعدة دقائق ثم عاد ليغلق من جديد ويعيدهم الى النفق ...

- انها رسالة -هودول- فهو الذي قادنا الى هنا.... وقال كيلا

- انه ممر المفاتيح لكنه يبدو خالياً تماماً - سأفتح

الباب مرة أخرى ....

استعد كيلا ... وعندما فتح الباب اندفعا بسرعة تحت القبة الصخرية وقد بدت امامهم سبعة ثقوب تتلألأ فتضيء ما حولها بنور شاحب سبع لوحات من المرمر وقد أرتاح مفتاح فوق كل لوحة ... اما الثقب السابع فكان خاوياً ... وقال سيليان:

– عليك انت يا كيلا ... ان تتخذ القرار – تلك الحركة التي ستجعل منك سيد السحرة في هذا القصر ... وفك كيلا بهدوء رباط شعره والمفتاح الدافىء يثقل في يده فداعبه باطراف اصابعه قبل ان يسحبه بلطف ويضعه في فتحته ويده ترتجف قليلاً واصغيا مرة اخرى الى الصمت ينتظران شارة ما ... ينتظران فيضاناً مثلاً ... لكن شيئاً من ذلك لم يحدث ...

– يجب الا نبقى هنا يا كيلا اشعر انني لست على ما يرام

* * *

الفصل السابع عشر

وعادا الى النفق من جديد بحثاً عن مخرج آخر ... يجب ان يعرفوا كل شيء فلهذا اهمية كبرى وبلغا نهاية الممر من الجهة اليمني فجأة ... وقد فتح الباب - فراحا ينظران الى الجانب الآخر حيث يصل اليه ضوء شاحب من مصباح لم يشاهداه ...

لا صوت هناك - كان عليهما ان يتصرفا بسرعة قبل ان يطبق الجدار - وعبرا الى الغرفة التي فتحت امامهما.....

لم تكن الغرفة فارغة - بل مددت فيها احجار ضخمة متطاولة اصطفت الى جانب بعضها .... هذا ما شاهده -كيلا- اما -سيليان- فهو يعرف اين هو الآن - انه في الغرفة الجنائزية ... في مقبرة العائلة ....

وراحت نظراته تجوس فوق الاحجار ... انه يستطيع ان يسمي كل واحد منها .... وكل واحد يسبب له ذكرى مؤلمة ... فهو يكره رائحة الموت هذه ....

في الصف الاول رقد الاموات من جيله وفيه سبعة قبور واحد فقط لا يزال فارغاً وغطاؤه الثقيل موضوعاً الى جانبه - ومد يده يلامس احجار الغرانيت الصلبة وهو يقرأ اسماء اخوته واحس بقلبه ينقبض.....

وبخطى بطيئه انتقل الى الصف الثاني .... ولامس حجر أحد أعمامه وهو لا يعرفه وكان يقول .... انت عمي وانا افكر فيك رغم اني لا اعرفك ... ثم وقف امام قبر أبيه وسمع صريراً كانه في غرفة مجاورة ... واصغى سيليان وهو يفكر بان لا سبب يدعو رجال الاولند بالمغامرة الى هنا ... ولم يحدث اي شيء ...

كانت الغرفة واقعة على التقاء عدة ممرات معتمة مفتوحة من جهة واحدة ..... ويغلقها باب ثقيل من الجهة الأخرى ....

واشار -سيليان- الى -كيلا- ان يتحرك .... ومن ثم دخل سيليان بحذر شديد الى الممر من جهة اليمين وهو يؤدي الى القاعة الكبرى داخل القصر ... وانحنى كيلا فوق الحوض الحجري ومر بيده على حوافيه ...

– ما هذه المعالف الممددة؟ وماذا يوجد فيها؟ ولماذا اغلقت كلها .... لا مس بيده مرة اخرى الحجر المجاور ورأى عليه كتابة لم يستطع مع الاسف ان يفك طلاسمها ....

ودون ان يفكر ... هل يستطع ام لا ... دفع الغطاء الحجري فانسحب بصمت ... وجحظت عينا -كيلا- ... وفي نفس الوقت فتح باب من الجهة المقابلة وبدا الرعب على وجه -كيلا- اما سيليان فقد انزلق لا شعورياً في القبر المفتوح وسحب الغطاء فوقه ... لكن الحجر لم يستجب له ....

واقتربت الخطى ... وتسمر كيلا في مكانه من الرعب وقلبه يزداد خفقاناً والتصق سيليان بالجدار ... وهو يستمع الى صوت فتح الباب المقابل للممر الذي يقف فيه الى جانب قاعة الحرس . وشاهد ثلاثة من الجند يعبرون الغرفة ليصلوا الى الممر .... واغلق الباب من جديد ....

يا لهؤلاء -الاوليد- انهم لا يحترمون حتى الموتى – يجتازون المقبرة ليقوموا باعمالهم .... واثر ذهابهم ندت عن سيليان تنهدة ارتياح نفث فيها كل الهواء

الذي اختزنه في صدره اما -كيلا- فاين هو ؟ عاد العجوز الى الغرفة فلم يجد احداً .... ونادى بصوت خفيض ... -كيلا!

وتحرك غطاء تابوت -ألفونت- يا الهي ... لقد كان الصبي هناك ....

يا للولد المسكين ... وقفز الصبي عن الحاجز دون ان ينبس ببنت شفه لكن الارتياح كان بادياً على وجهه ... واخذت يدا -سيليان- ترتجفان وهو يقول:

- انه قبر -ألفونت- يا صغيري ... واتسعت حدقتا الصبي رعباً :

- يجب ان تكون جثته هنا ... فلم يمض طويل وقت على موته!!

كان كيلا ينظر الى جده وهو شارد الفكر :

- انت مخطىء يا سيدي ... انظر ....

ودنا -سيليان- من القبر فوجد دمية من قماش متمددة هناك وقد البست ثياباً كتلك التي يرتديها -الفونت- وغمغم سيليان:

- ان -ألفونت - لم يمت اذن ... ومر بيده على جبينه قبل ان يضيف

- ألغونت - لم يمت ...! لم يمت بعد ... لقد ارار
استدراجي الى هنا .... وها نحن نلقي بانفسنا في فم
الذئب ...

* * *

من اعالي الجبل !! كانت -نيل- تطل على العالم
.... في وادي الصقيع تموج مجموعات البشر التي
ترتدي القبعات والتي غدت وحدها كل عالمها .....
اما في واديها .... وادي أهلها سابقاً - أهلها الذين
فروا امام -الاولميد- وكما يحدث كل يوم .... أحست
غضباً جائراً يجتاحها ... وخيل اليها انها تسمع
خطوات الجنود السمر في الطرقات المقفرة .... لا
ليست مقفرة بل اغتصبها هؤلاء المحاربون المتدربون -
انهم يرقدون الان فوق سريرها الازرق ويرتاحون على
لحاف الريش وفي المقعد ذي المسند المخملي .....
كانت تتمنى لو يتكسر كل شيء .... يطير لحاف
الريش وترفض النار الاشتعال في المدفأة وتنشق
الارض وتتكسر المنضدة ....
ها هي تحس برغبة في البكاء مرة اخرى -

وتشنجت يداها وصرت على أسنانها وغدا كيانها كله توتر... وتمنت لو تصرخ في مجموعات النمل هذه وهي تسرح في أسفل الوادي ...

- هيا - هبوا - سنموت جميعاً .... يجب ان تفعلوا شيئاً ... لكنهم ... كانوا يزدادون تحطماً فالرجال جرحي ... وتحاول النسوة عبثاً المحافظة على حياة هذا الشعب المسكين ....

ارادت هي ان تقاتل حتى بيديها العاريتين وكادت تصيح:

- سنموت ايها الناس - سنموت جميعاً

ورفعت نحوالقصر عيوناً بائسة .... الجميع في الوادي .... بعيدون جداً وحالما نظرت الى القصر ... تراخت قبضتها وانبسط جبينها . وانفرجت شفتاها ..... انه القصر ...... انه القصر ......

رأته محاطاً بهالة من نور الشمس وقد عاد للاحجار القديمة رونقها الجميل تلك الاحجار التي صقلها رجال -السيلم- بأيديهم وابصارهم مع كل الحب منذ اجيال واجيال .... وسوف يحدث شيء ما .... سيحدث شيء ما يتعلق بها .- يتعلق بهم جميعاً -

وراح فكرها الى هودول الى ذلك الشاب ...... من رجال -السيلم- الذي حدثها عنه .... انه هو .... انه هنا .... هذا الصبي - لا يمكن الا ان يكون هو ..... وهو موجود بالقصر الآن.

اضاء وجهها .... واغمضت عينيها - لقد انقذوا انها واثقة من ذلك

* * *

وقال سيليان للمرة الثانية ...

- انا لا افهم ....

كان يجلس قبالة -كيلا- في آخر السرداب وقد عاد اليه مسرعاً - واعتمد رأسه بين يديه

- كيف استطاع -الغونت- ان يتفق مع رجال الاولميد ليقضي على رجال -السيلم......

- ان رجال الاولميد - يملكون مفتاح الباب الرابع......

-أيضحي بشعبه من أجل الكنز؟ لا يزال هنا شيء غير واضح ..... وقال كيلا بلهجة جادة أثارت عجب جده.....

- لا أظنه اراد الهلاك لشعبه ولا تحالف مع الاولميد.. ....

- اشرح لي هذا .....

لو اتفق مع الالولميد - لاضطر ان يقاسمهم الكنز برأيي انه لم يفعل ذلك ورجال -الاولميد- موجودون الآن بالقصر لانهم يعتقدون ان -ألفونت - قد مات مثلنا ومثل كل الناس. ويمكن القول انه أحسن باعداد هذا النفخ اذ ترك حماية القصر تسقط ودفن نفسه حياً ضارباً عصفورين بحجر واحد:

فلقد شدنا الى القصر كما شد اليه رجال - الاولميد- ليحصل على المفتاحين الآخرين.

- انت مصيب يا -كيلا- فيما ذهبت اليه - لكنه لم يستطع ان يتجنب طرد رجال السيلم - من قبل -الاولميد- فهو لا يستطيع هذا باعتباره ميتاً.

- والان .... هو وحده .... وهم كثيرون ...

- انه يعرف ذلك ...... وقوته الحالية تنبع من الناس جميعاً يحسبونه قد مات وقال -سيليان-

- اين هو الآن يا ترى؟

* * *

وحك -آلفونت- ذقنه الخشنة بطرف اصبعه - فقد شك في ان يحضر رجل الاوليد وحده الى القصر - وتركه يتركز بشكل مناسب اذ لن يخطر له على بآل ان يفتح القبر ولن يعثر عليه ابداً ....

كم هو مسرور .... هو الفونت - كم هو فرح وهو يرى ملامح الظفر على قسمات رجل الاوليد وهو يضع مفتاحه في ثقب الباب الرابع.....

لقد غدت ستة مفاتيح جاهزة تتلألأ هناك بهدوء .... وبقي فقط .... اخوه سيليان. وهو متأكد الآن انه قد أعد رأسه للقطع - فهو يظن انه مكلف بتلك المهمة الكبرى وهي انقاذ المملكة....

سيليان - الذي يكره السلطه ويكره الحكم وسخر من القوة والذهب .... ها هو يخرج من جحره ليأخذ من العرش مكاناً لا رغبة له فيه ... يا له من أحمق سوف يموت الآن كالجرذ ... دون ان يدري من اين يأتيه الموت.

يا له من احمق .... هل ظن نفسه بمأمن في اقبية القصر! لكن مالا اعرفه هو كيف دخل الى القصر دون ان يعثروا عليهما .... لا بد ان يكونا هنا في مكان ما .... هنا تحت قدمي .... وسيموتان.

* * *

وقال - كيلا- بقلق:

- ماذا سنفعل الآن ....

لم يجب سيليان وقد أسند رأسه إلى احد احجار السرداب ان الصبي على حق ... فهو هرم جداً على القيام بمثل هذه المغامرة .... واخطأ عندما ظن ان الصبي لا يزال صغيراً ....

كان يرقب حفيده بصمت ... كم تغير ! يبدو الآن اقوى من جده .... فهو يشعر بقلبه يتقلص تقلصاً مؤلماً ويدق دقات غير منتظمة بينما غدا وجه كيلا ... وجه رجل كامل الرجولة .... وملامح واضحة تعطيه شكلاً جاداً وانفاً مستقيماً وكانه قد رسم رسماً وقال:

- سننتظر ... لا بد ان آلفونت قد خطط للتخلص من رجال الاولميد ... ونحن هنا في مأمن ... فعندما يغادر رجال الاولميد سنرى ماذا سنفعل!!

- لكن .... يجب علينا ان نرحل - طالما ان آلفونت لا يزال حياً.....

- حقاً ... فالقصر ليس لنا الآن ولا حق لنا في ان نسلبه اياه

- اذن يجب ان نستعيد مفتاحنا من الثقب!!!

- علينا ان نقوم بذلك بسرعة - وننتظر حتى يغادر رجال الاوليد القصر ونرجو ان لا يعلم ألفونت - بوجودنا فيه ....

وتنهد -كيلا - وهو يتبع جده في اروقة القصر المتشعبة....

- هذه الرحلة .... هذه الاخطار كلها .... جئنا نعرض انفسنا للهلاك - جئنا نغامر بحياتنا وسنعود ونحن نغامر بها ايضاً .... كم يبدو هذا مؤلماً ومضحكاً ويدعو لليأس .

* * *

جلس - ألفونت امام منضدة ..... فليس لديه من الوقت ما يضيعه وغدت حياته متعبه في هذا المخبأ ... وغدت رؤية هذا الطاووس - امير الاوليد- وهو يحتل غرفته وينام في سريره ويتمخط في اغطيته ويقيس معاطفه غدت شيئاً لا يطاق .... لكنه .... كوفيء على ذلك ...... فهو فرح جداً فلقد غدا وحده القادر على شد الخيوط في هذه الآليه الكبيرة بينما يعتقد رجال الاوليد - بسذاجة انهم أسياد حصون القصر- لا ايها الامير الحقير - لا ايها الهزء ... ليس

لمفتاحك اي سلطة طالما أنا على قيد الحياة وستموت قبلي ....

اما الآن فأنا من يأمر بفتح الابواب واغلاقها لا عندما تأمرها انت بذلك. السيد الاكبر هو انا. وارتسمت على شفتيه ابتسامة الرضى. فأمير الاوليد يجهل كل اسرار القصر فلا يدري ما هي ميزة هذه الغرفة - فلها سقف ظاهري يمكنه منه مراقبة عدوه اللدود .....

وفرد -الفونت- صفحة الرق وغمس ريشته بالحبر وكتب:

ثم ذر فوقها رماداً ناعماً يجف حبرها ونفخ فوقها وراح يتلو ما كتب بعين الرضا:

ها هو ينتظر حلول الليل - فعندما يهدأ كل شيء سينزع عارضة خشبية من ارضيه السقف يدخل فيها الرق مربوطاً بشريط أحمر وقد غمره بالغبار ويبدو طرفه ليلفت اليه النظر ..... واصغى الى وقع خطوات طويلة في الممر الواصل بين الغرف فتمدد على خشبات السقف ليرى من شقوقه رجال الاوليد يأخذون مراكزهم - وتنهد بارتياح وراح يتنقل على السقف

الكاذب محني الظهر ذلك السقف الذي يستر سطح الطابق كله ومنه يمكن الوصول الي الطابق الارضي فيجب ان يعرف كل ما يجري - شاهد تبديل الحرس ونظر في الوجوه ليتأكد منها........ كان في القصر مئة وحارسان وخمسة من الخدم وثلاثة عشر طباخاً وثمانية منظفين بمجموع قدره مئة وأربع وسبعون رجلاً بالاضافة الى فاتار - واميرا الاولميد نفسه. وسجل على الرق الذي كتب عليه رقم مئة وخمس وسبعون كي يضطر ملك -الاولميد- ان يستخدمهم جميعاً فلا يحاول ان يدخل الي القصر أناساً من عامة الشعب.....

* * *

الفصل الثامن عشر

فتح رجل الاولميد الكبير عينيه - كانت اشعة الشمس تتدفق داخل الغرفة مما جعل جوها دافئاً .... وقف بصعوبة ونظر الى الخارج .... كان الجو رائعاً في ذلك اليوم .....

اراد ان يستدعي أحد الحرس ليفتح له النافذة - لكن - لا - فقد رغب ان يروح اليها يستنشق نسيم الخريف الرطب .... وفكر انه من غير اللائق به كأمير ان يظهر امام الحارس بوجه لا يزال يغالب النوم .... واخذ يدير رأسه الى اليمين مرة والى اليسار اخرى تدريب رياضي لعضلات رقبته واخذ يتلفظ ... أ...... او ..... اي ..... لكي يثبت ايضاً وضع خديه ثم كرر بعض الاصوات والحروف ليجلو صوته.

ومن فوق السقف -كان آلغونت- يرقب المشهد متقلص الفك - ورجل الاولميد يأخذ اوضاعاً مختلفة دون ان يرفع نظره للاعلى نحو العارضة المنزوعة .... لكن يجب ذلك فكيف يلفت - آلغونت- انتباهه؟

وفتح الرجل النافذة وعاد يرتاح على سريره وحان الوقت لان يقرع الجرس طالباً طعام الفطور جذب الحبل العتيق .... فانفتح الباب في الحال. دخل الحارس الي الغرفة ووضع المائدة امامه باحترام ثم انحنى بمزيد من الاحترام قبل ان يعود ادراجه ويغلق الباب.

وجرى تيار هوائي في الغرفة اصطفقت له النافذة وارتفعت الستائر ومن السقف سقطت لفافة من الجلد تأملها رجل الاولميد دون ان يتفوه بحرف بعد ان صرف الخادم بإشارة من يده.....

التقطها بسرعة ونزع الشريط الذي كان يربطها وفردها امام عينيه فوجد مكتوباً فيها:

«ان كنز -لوكران- غدا منذ الآن بعيداً عن الاطماع .... لكن ليس بعيداً عن كل الاخطار فاذا حدث شر للمفاتيح او فقدت فعلي فروعي ان تعلم ان الكنز يمكن رويته من القاعة الكبرى في القبو - فوق صخرة شفافة لا تتزحزح الا اذا وقعت تحت ثقل كبير يؤمنه وزن مئة وخمس وسبعون رجلاً - في الغرفة الملكيه يوجد ممر خلف الستارة يفتح بسحب رأس من الحديد هناك........

انا .... بتروك - سيد رجا ل- السيلم- احظر على أولادي واولادهم ان يمسوا هذه الثروة - عليهم ان يشعروا بكيانهم وشخصياتهم فقط وان يتمكنوا من مقاومة كل اغراء..... ليحفظكم الله....»

بتروك.

ونسي رجل الاوليد فطوره وبقي برهة يفكر بمعاني كلمات الرق .... ومن ثم فتح باب الغرفة وانزلق في اخرها خلف الستارة ... هذا صحيح .... كل شيء كما جاء في الرق تماماً.

فهنالك رأس معدني .... تردد قليلاً ثم سحبه بدقة ودفعه دفعة واحدة .... تحرك الجدار ..... وفتحت امامه خمسر ممرات ... لقد سمع عنها - فهي اكثر من ستين عمر تحت الارض .... ولو صدق ما جاء في الرق فان في احدها توجد القاعة الكبرى : مئة وخمس وسبعون شخصاً .... جاء هذا مناسباً .... فله في هذا القصر ما يربو على هذا العدد .

واغلق الجدار تلقائياً تاركاً امير الاوليد في مكانه يفكر.......

واسرع نحو حبل الجرس يشده واعطى اوامره

للخدم ....

«تجمعوا جميعكم في قاعة العرش»

وخلال ساعة من الزمن توزعت المشاعل في الممرات الارضية ورنت الخطى تحت القبة - ذات الالف عام- لقد غدا الكنز لهم ولاحت على وجه -آلفونت- ابتسامة خبيثة - عندما اغلق الجدار على فاتار وامير الاولميد وحاشيته الأمينة .....

ونهض بقدر ما يسمح له ذلك السقف المنخفض وانزلق على الجدار الخارجي حيث توجد انابيب آلة معدنية ضخمة - داعبها بطرف اصابعه والقى نظرة اخيرة على الانابيب اللامعة وهو ينزل مفتاحها الاسود ثم راح لينزلق دفعة واحدة خلف سماكة الجدار......

* * *

- ماذا حدث ....
- انتفض -كيلا- واصغى -سيليان
- هناك صوت خطوات ......
- هل يبحثون عنا؟
- قد يكون ذلك .... لننتبه من اين يأتي الصوت!

وبقيا فترة ساكنين - بدون حراك - في قلب الممر الضيق يصيخان السمع في ذلك الليل المظلم الى صوت الخطوات .... صوت الاقدام ... عشرات الاقدام .... صوت المسير

- يبدو انهم قادمون من كل حدب وصوب . وسأل كيلا - بقلق:

- ماذا سنفعل؟

وشحب لون وجهيهما لكنهما لم يتبينا ذلك على ضوء الشعلة الخفيف فلم ير أحدهما ملامح الذعر التي ارتسمت على وجه الآخر .... مما ساعدهما على الحفاظ على رباطة جأشهما.

- لنبق هنا .. - فهم يدنون من المدخل .... والتصقا جيداً بالجدار عندما اضاءت شعلة جديدة مدخل الممر.

كانت لحظات قاتلة: اضيء الجدار من جهة اليمين ثم شحب الضوء وانتقل الى جهة اليسار..... ومرت المشاعل دون ان تمر بهم وابتعدت الخطى وغدت تسمع الآن من فوقهم وسمعت اصوات كانها اسئلة متبادلة وحوار.......

- انهم لا يبحثون عنا .... انهم خائفون وجلون ....

قال سيليان ذلك ولا يعرف كيلا كيف خطرت لجده هذه الفكرة . كما يحدث معه دائماً ...... يبدو انه مازال صغيراً ليدرك كل شيء - وأحس مرة اخرى بالمفتاح يتدلى في مؤخرة رأسه .... فهل أحسن صنعاً باستعادته يا ترى ؟

واصغيا لخطوات السائرين وأصواتهم .... وحاول سيليان ان يبعدهم عن فكره ... فلو كانوا يبحثون عنهما لتجنبوا ان يحدثوا ضجيجاً يكون انذاراً للهاربين!!!

وهم عندما يتحدثون بصوت مرتفع فما ذلك الا ليبددوا الذعر الذي أصابهم داخل السراديب المظلمة.....

- قد لا يبحثون عنا ..... ولكن قد يعثرون علينا صدفة......

- الا تشم رائحة غريبة

قد تكون حاسة الشم لدى سيليان اقل دقة فيحتاج الى بعض الوقت كي يدركها وتدافعت الى مخيلته جملة ذكريات .... كان شاباً ..... وجرى معه حادث مؤلم

لا يكاد ينساه .... ذلك اليوم المشهود...... كان شاباً مرحاً لايزال ويقوم بحفر بئر .... لا اكبر ولا اعمق ولا اجمل منها.....

كانت احدى افكار الشباب عنده الرغبة في ابراز شخصيته وعظمتها والتأكيد على وجوده وعلي تفوقه على الآخرين .....

لم تكن لديه معلومات عن وجود ماء في البئر ...... فلم يعثر على الماء ..... ولكن عندما كان يسحب من البئر وعاءً مليئاً بالتراب ..... هوى في ذلك البئر ثلاثة من أعز اصدقائه وفاحت منه تلك الرائحة التي تنتشر الآن .... رائحة هذا الغاز.......

- يجب ان نخرج بسرعة .... وسحب سيليان الرأس المعدني في الجدار........

ودار الجدار الحجري فارتميا في غرفة الموتى من جديد واغلق الباب علي مصدر الغاز القاتل.

* * *

- ها ..... ها ..... انتما هنا اذن ؟!

كان -ألفونت- راكعاً على قدميه يلوح في يده

بسلسلة حديدية ضخمة تلامس الارض. وقال:

- عندما لم اعثر عليكما امام الغرفة الملكية - خطر لي ان انتظركما - هنا .....

اراك قد خرست الآن يا اخي العزيز !!!! وتقلصت قبضتا -سيليان-:

- هل تعرف اين ذهب مقاتلو رجال -الاوليد- ؟!

- انهم يبحثون عن الكنز - يا لهم من حمقى ! هل تتصور .....

يبدو ان أحداً اقنعهم ان الكنز يمكن الوصول اليه من داخل القبو .... فذهبوا جميعاً لرؤيته .... هذا مدهش اليس كذلك؟

واخذ يتأمل -سيليان والصبي- بعينين باردتين تملؤهما السخرية: ثم تابع بحقد:

- لو لم تخرجا من هناك للاقيتما حتفكما كما حدث للجميع ... هل تذكر يا سيليان فتحة الغاز السام التي ارغمتني مراراً ان اشير إليها ... سأذهب لاحضار المفتاح من فوق جثتك ان لم تعطه لي بنفسك.....

وصاح -سيليان بـ كيلا يدفعه نحو اليمين بينما

قفز هو نحو اليسار بين القبور

- ماذا تظن نفسك يا سيليان - لن تفلت مني - فجميع المنافذ مغلقة ......

وسمع صرير نصل حاد .... وادار -آلفونت- ظهره نحوالجدار - واطلق سلسلته فاحدثت صفيراً حاداً وراحت لتصيب -كيلا- في يده فافلت سيف جده وهو يطلق صيحة ألم. والتوي على نفسه وقد انتفخت يده وبرزت فوقها مباشرة خطوط بنفسجية اللون وقال سيليان:

- قاتلني انا .... ودع الصبي فهو لا يزال طفلاً.....

لم يكن سيليان يحمل اي سلاح لكن نظرة اخيه الساخرة اثارته وأحس بضعفه حتى النهاية......

- كان عليك ان تعطيني مفتاحك منذ ثلاثين سنة ..... ولو فعلت - لغدوت ثرياً ووفرت على نفسك هذه الميته البشعة وحميت هذا الصبي الذي يمارس لعبة الرجل الشجاع - اعطني المفتاح ....

ومد آلفونت يده - ولم يتحرك -سيليان-

وصفرت السلسلة من جديد ولاحت فوق رأس سيد القصر مهددة ولامس طرفها كتف -سيليان- ومزقت

ثوبه ..... وغمغم آلفونت بسرور وهو يستعيد السلسلة:

- الا ترى يا اخي اني أحسن استعمال هذا الشيء؟

واخرج -كيلا- مقلاعه وعالجه بحصاة بقيت في جيبه .... عليه ان يتصرف بسرعة كي لا يشعر -آلفونت- بما يحدث .... س س س

وانطلقت الحصاة لتصيب رأس -آلفونت- وآلمته حتى تخلى عن السلسلة ليضع يده فوق الجرح .... فقفز سيليان وامسك بها وهو يقول:

- وانا ايضاً احسن استعمالها يا اخي !....

ابتسم -آلفونت- بحقد ...وقال:

- انك لن تستخدمها ... لن تستخدمها ضد أخيك

- فانت دائماً مع روح الأسرة.

وهمهم سيليان:

- سأستخدمها لاسحق حشرة شريرة مثلك

وبنظرة واحدة .... ادرك -آلفونت- خطورة موقفه ... محشوراً بين قبرين لا يتمكن من الهرب ليخلص من مطارديه فقال:

- ان الغاز يتسرب ويهدد الممرات

- لن تتأثر الممرات بالغاز - فهو غير قابل للانفجار - اعرفه كما تعرفه انت - واعرف ان رجال الاوليد قد فارقوا الحياة الآن: وجار الغونت.

- ان الغاز سيملأ القصر اذا لم تتركني اذهب لاغلق فوهته.

واوقف -سيليان يده ... فأخوه على حق.

واغتنم -ألغونت- فرصة الاضطراب القصيرة - وقفز على كيلا واضعاً نصل خنجره فوق رقبته وهو يقول.

- اعطني المفتاح والا ذبحت حفيدك.

وشعر كيلا بنصل الخنجر قريبا من جسمه لكن عيناه بقيت متصلبتين وهو يشير لجده ان يرفض

- لست الا جباناً يا الغونت - وانت انسان حقير.....

- ان مدائحك لن تطولني يا اخي العزيز - اعطني المفتاح ... وسأله :

- ماذا تريد ان تصنع بهذا الذهب !!

- يا له من سؤال مضحك .... مثلك تماماً يا سيليان - بالذهب اشتري كل شيء واحصل به على

المزيد منه - سأشكل في مملكتي جيوشاً من المرتزقة فاوسع المملكة بفتوحات جديدة حتى املك كل ثروات الارض

- انت ترى نفسك كبيراً جداً يا -آلغونت- وهل سيحمل لك هذا السعادة؟

- المفتاح .... او - اذبحه

- انه مخبأ في شعره

واتكأ سيليان على قبر والده واغمض عينيه كي لا يرى وجه -كيلا- وهو يتقلص أسىً ... والغونت يبحث في شعره.

وبرقت عيناه بسرعة حالما ابتعد الخنجر عن رقبته وراحت السلسلة لتضرب اليد التي تحمله وترتد نحو سيليان .... الذي كان يمسك بها ....

لكن سرعته لم تكن كافيه اذ انطلق -الغونت - يعدو ... وهو اعزل من السلاح نحو طرف الممر ... وارتطمت السلسلة بالجدار بعد ان اغلق الباب خلف الهارب وصاح -كيلا-

- لقد اخذ المفتاح ... وراح يهز الباب بعنف ... انه مغلق ... مغلق .. واخذ خشب الباب يدوي تحت قبضات يديه وهو يكاد يبكي ....

- لا فائدة من ذلك يا كيلا انه لا يزال سيد القصر وسيحمل على الكنز.... لم أرد في يوم من الايام ان اعطيه المفتاح ... لكنه الآن معه ... وسيتحمل نتائج اعماله ومسؤولياته كلها ... واحنى رأسه فوق الباب بمنتهى الأسى وهو مثقل تماماً - الشيء الوحيد الهام في الموضوع ان رجال -السيلم- قد عادوا

* * *

ودار الباب وحده حول محوره والعيون ترمقه باصرار .

لم يتحرك -كيلا- ولا سيليان .... ولم يكن أحد هناك في المدخل

تقدم الرجلان بصمت .....كانت الغرفة الثانية خالية ايضاً والابواب الثلاثة مفتوحة .... واخذ الرجلان يتقدمان بحذر ينظران في كل اتجاه ويرقبان كل شيء وقال سيليان بدهشة:

-الحصون يا كيلا ..الحصون..لقد سقطت الحصون!

وراح الاثنان يعدوان ... يهبطان -يقطعان الممرات -ينزلان الادراج قبل ان يعبرا الجسر الذي نزل وحده نحو القصر.

وشاهدا الباب المعدني الكبير وهو نصف مفتوح

... ذلك البـاب الرائع الذي أخـذ يحلم عندمـا رآه سابقاً.....

تلك البوابة .... وترددا قليلاً ثم انطلقا الى اعماق الجبل بين جدران صخرية هائلة واحجار يشع منها نور خفيف .... تجاوزا سته ابواب مفتوحة وفتح الباب السابع امامهما وانبعثت منه حرارة رطبه من غرفة بيضوية وسطها لوحة من المرمر.....

لا يوجد فوقها الا طبقة من غبار رمادي.......

وقف -سيليان -وكيلا .... مشدوهين ترتجف ايديهما - يغمر قلبهما خجل كبير ....لا تحيد عيونهما عن جثة -آلفونت- الممددة على الارض ....

وتردد خلفهما صوت ضعيف يقول:

- - انه هو .... كان -هودول- يقف خلفهما مثني الذراعين يداه في كميه وقال:

- لقد استعملت قوة مفتاحك فتلف الكنز وحده .. وبقي رجلا السيلم ذاهلين دون ان يقوما بعمل ما.. واضاف .... لم يقتله أحد بل قتله طمعه . . فهو لم يستطع ان يتحمل المشهد الذي بدا امامه .... مشهد الكنز المفقود......

* * *

وعلى سطح النهر البادئ اضرمت المشاعل فاضاءت الليل ... لا اغاني ولا طبول ... منذ ايام فقط كان -الاولميد- اسياد هذه البلاد - لكنهم دفعوا الثمن غالياً ... وهاهم يعودون اليوم ينقلون على زوارق خشبية جثث محاربيهم القتلى ...

من جديد ... سقطت حصون القصر...لكنه لم يعد قصرهم فلم يأسفوا عليه..فالمملكة هي دائماً مملكة السيلم يحكمها اليوم..رجل عجوز اسمه سيليان وحفيد له يدعى كيلا أما فاتار الساحر فلم يعثر له على اثر.

وعاد المخمل الناعم يغطي اجنحة الفراشات - ومن وادي الصقيع الذي نزل فيه رجال -السيلم- عادت قوافلهم مغطاة بالثلج .....

في مقدمتها صبية شقراء .... تحمل مشاعل العيد ... كانت عيناها تضحكان وقد ردت علي كتفيها طرف شالها الصوفي - كانت تدعى -نيل- ومن خلف الجبل - عادت أيائل غابات العاج تتنسم عبير المساء وراحت تنزل نحو النهر بخطوات واسعة!

كان هذا في زمن قديم جداً

تمت

واذا كـــان مـن أول مميـــزات المُتَـــرجِم النـاجـح تمكنـه مـن لغتـه واللغـة المُتَـرجَمِ عنـهـا أولاً وقـدرتـه على استـيـعـاب الفكـرة وتمثلها ثانيـاً فـإن السيـدة فـاطمـة عـابدين فـي هـذه الروايـة قـد ملكت ناصيـة المـميـزتـين بقـدرة فـائقـة واستـطـاعت ان تجـمـع الى جـانب صـدق التـرجـمـة وأمـانتـهـا جمـالاً فـي الاسلوب والعـرض ممـا جـعـل هـذه الروايـة اقـرب الى الكمـال اذا قـورنـت بـالكثـيـر ممـا تـرجـم إلـى لغـتـنـا العربيـة.

مدحة عكاش

السعر: ٣٠٠ ل.س